الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم: العلوم الإنسانية

الحياة العلمية في المغرب الإسلامي من خلال كتاب رحلة القلصادي

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في التاريخ تخصص الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبين: **إشـراف**

- جميل عبد الحميد أ- العابد عبد الحميد

- شلالقة عماد الدين

لجنـة المناقشـة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	المؤسسة الأصلية
د- بن خيرة أحمد	أستاذ محاضر	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
العابد عبد الحميد	أستاذ مساعد-أ-	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
د- علي شعوة	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

السنة الجامعية:1440-1441هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أشكر الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين، القائل في محكم التنزيل ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ صدق الله العظيم . . . ، سورة يوسف الآية (76)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه » . . . (رواه أبو داوود)

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا المشروع وفي تذليل الصعوبات التي واجهتنا ، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور عبد الحميد العابد الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأعضاء اللجنة الموقرة التي تحملت عناء قراءة هذه المذكرة وأيضا وفاءا وتقديرا واعترافا مني بالجميل أتقدم بجزيل الشكر لأولئك المخلصين الذين لم يدخروا جهداً في مساعدتنا في المجال العلمي ، وأخص بالذكر أستاذة قسم التاريخ

وأخيرا أتقدم بجزيل شكري إلى كل من ساندنا ومد لنا يد العون والمساعدة في إخراج هذه المذكرة على أكمل وجه

إهـــداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك . . . ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة . . . ونصح الأمة . . . إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى نبع العطاء ومصدر الدعاء والدتي الغالية مع طلب الرضا

إلى روح والدي العزيز يتغمده الله بواسع رحمته

إلى إخواني وأخواتي وزوجتي وأولادي

إلى كل طالب علم

إليهم جميعا أهدي ثمرة جهدي وعملي المتواضع

اللهم علمني ما جهلت وانفعني بما علمتني وزدني علما

قائمـــة المختصرات

ت	تاريخ الوفاة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
(دت)	دون تاريخ
مج	المجلد
ج	الجزء
ط	الطبعة
ص	الصفحة
م	الميلادي
هـ	الهجري

مقدمـــــة

لقد شــهد المغرب الإســلامي ازدهارا علميا كبيرا برز فيه النشــاط الفكري والثقافي خلال القرن (9هـ/15م)، رغم الفوضــى والاضــطرابات الســياســية والعســكرية التي شــهدها المغرب الإسلامي والأندلس في هاته الفترة، إذ شهد المغرب الإسلامي في القرن التاسع للهجري إبداعا حضــاريا في مختلف المجالات وذلك بفضــل وحدة اللغة والعقيدة في إطار الإســلام الذي حث على التطور والتحضــر في جميع الميادين خاصــة الميدان الفكري العلمي وبسبب هذا الازدهار شهدت حواضره نضجا فكريا لا مثيل له.

ويرجع الســبب في ذلك إلى انتشــار المراكز العلمية وتنوع العلوم، إضــافة إلى عملية التعليم التي تعد عملية تربوية تطورت بتطور العصــور وشــهدت اهتماما واســعا من قبل العلماء والباحثين منذ القرون الأولى وصــفه الســلف وصــار عليه الخلف من بعدهم، فهو يعتبر أحد الركائز الأساسية للحضارة، فلا حضارة بغير علم ولا علم بغير تعليم، ولم يختلف المسلمون عن غيرهم في هذا الميدان بل كانوا الســباقين امتثالا لقوله تعالى في ســورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْــمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5)﴾ واقتداء بقول رسوله صــلى الله عليه وسلم ﴿مَنْ سَــلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ﴾ رواه أبو هريرة.

وبهذا انتشر التعليم في المغرب الإسلامي بصفة عامة وخاصة المراكز الحضارية، التي تعد مركز إشــعاع علمي مثل تلمســان إذ شــهدت من خلاله حلقات علم ومجالس في مختلف العلوم، وبسبب هذا الرصيد الثقافي والعلمي أقبل عليها مشاهير العلماء من كل حدب وصوب، فانتعش المغرب الإسلامي وارتفع مستواه العلمي، هذا التحفيز دفع بظهور علماء أجلاء مثل أبو الحســن علي القلصــادي، ويشــهد على تفوقه العلمي كثرة مؤلفاته في عدة علوم وخاصــة كتاب رحلته بعنوان (تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب)، ومن خلال التراجم الواردة فيه الذي عني من خلالها بذكر حياتهم الفكرية من تعاليم ومجالس ورحلات وإجازات،

ومن خلاله سوف نحاول استخراج بعض المعلومات عن الحياة العلمية التي عرفتها المنطقة في تلك الحقبة وذكرها القلصادي في كتابه المعروف برحلة القلصادي.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تكمن أهمية الموضـــوع في كونـه يســـلط الضـــوء على جـانـب من أهم جوانـب التاريخ الحضـــاري العلمي، ليشـــمل أهم العلوم والعلاقات الثقافية الفكرية التي كانت قائمة بين العلماء في مختلف حواضر المغرب الاسلامي من خلال ما قدمه لنا كتاب رحلة القلصادي.

وأما عن الأســـباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضـــوع وشـــدتنا إلى البحث فيه قلة الدراســـات التي تهتم بالجانب الثقافي، ومظاهر التطور الفكري على غرار الجانب الســـياســـي للمغرب الإسلامي خلال الفترة التي تقيد بها صاحب كتاب الرحلة، بالإضافة إلى محاولتنا إبراز التـأثيرات الثقـافيـة الوافدة من مختلف الأقـاليم وإثراء الحيـاة الثقـافيـة وذكر مـا خلفـه هؤلاء من مؤلفات، وتبقى الرغبة الأكيدة هي التعريف بكتاب رحلة القلصـــادي وإبراز أهم التراجم المذكورة فيه والتي لعبت حجر الأســـاس في عملية التعليم، وإظهار التفاعل العلمي الذي كان بين علماء حواضر المغرب الإسلامي من دوافع اختيارنا.

الإشكالية:

وبذلك يأخذ موضوع البحث شرعية كإضافة في إماطة اللثام تحت عنوان: **الحياة العلمية بالمغرب الإسلامي من خلال كتاب رحلة القلصادي**، كان الهدف منه تحديد أهم الطرق ومراحل التدريس وكيفية نشـرهم للعلم وهضـمه والإبداع فيه والكشـف عن عباقرته، ومن ثم تقديم إنتاج عظيم في هذا المجال وأناس مبدعون وأعلام برزوا في شـــتى العلوم وكانوا مصـــدرا للمعرفة الإنسانية في المغرب الإسلامي.

وانطلاقا من هذا نطرح الإشكالية الآتية: ما المدى الذي ساهم فيه كتاب رحلة القلصادي في إبراز المجال الفكري العلمي الذي جعل من التعليم ومراكزه عناصـر مهمة سـاهمت في ولوج

نخبة من تراجم الفترة المدروســة ؟، وفي هذا المنحنى حبذنا طرح عدة تســاؤلات تنطوي تحت الإشكالية ليكون لها أثر في تسهيل الدراسة لهذا الموضوع ومن بين هذه التساؤلات نذكر منها:

- من هو أبو الحسن علي القلصادي؟ وماهي أهم مؤلفاته؟ ومن هم العلماء الذين ترجم لهم كتاب رحلة القلصادي؟
- فيما تمثلت مراحل التعليم؟ وماهي وسائله؟
- ماهي أهم المؤسسات التعليمية التي حملت على عاتقها تدريس العلوم؟
- ماهي أصــــناف العلوم والمعارف التي كانت تدرس ولاقت انتشـــارا من قبل علماء المغرب الإسلامي؟ ومن هم أهم روادها؟

المنهج المتبع:

ولمعالجة هذه الدراسة اتبعنا منهجا تاريخيا ركزنا فيه على استقصاء المادة من المصادر والمراجع والحرص على التوثيق رعيا للأمانة العلمية، فاعتمدنا بذلك على الوصـــف والتحليل.

الخطة المتبعة:

وقد تضمنت هذه الدراسة مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

مقدمة: حيث تناولنا فيها التعريف بالموضوع وطرح الإشكالية، وأسباب اختيارنا للموضوع، مع توضيح المنهج المتبع، واستعرضنا فيها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة.

الفصل الأول: خصصناه للحديث عن أبي الحسن علي القلصادي والواقع السياسي للمغرب الإسلامي في عصره، ويضم ثلاث مباحث حيث أشرنا في المبحث الأول إلى حياة القلصادي وعصره ومكانته العلمية، كما تحدثنا في الفصل الثاني عن التعريف بكتاب رحلة القلصادي

وقيمته الفكرية والتاريخية، وتطرقنا في الفصل الثالث إلى الواقع السياسي للمغرب الإسلامي ما بين القرنين (8-9هـ)، وخصنا بالذكر المغرب الأوسط والغرب الأدنى تقيدا بمكان الدراسة.

الفصل الثاني: خصصناه للحديث عن عوامل ازدهار الحياة العلمية في المغرب الإسلامي من خلال كتاب رحلة القلصـــادي، ويضـــم بدوره ثلاث مباحث حيث جاء في المبحث الأول مراحل التعليم ودور المؤســـســـات التعليمية في إثراء الحقل المعرفي والفكري، أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى مناهج التعليم وطرقه، وتحدثنا في المبحث الثالث عن روافد النشاط العلمي.

الفصـــل الثالث: تحدثنا فيه عن أصـــناف العلوم التي لاقت رواجا كبيرا معتمدين على ما ذكره القلصادي في رحلته والترجمة لبعض مشاهير العلماء الذين عرفهم المغرب الإسلامي في القرن التاسع للهجري، مبرزين أهم كتبهم التي حظيت بشهرة في المغرب الإسلامي.

وختمنا بحثنا بخاتمة ضمنتها أهم الاستنتاجات التي وصلنا إليها من خلال هاته الدراسة.

وقد واجهتنا عدة صـــعوبات عادة ما تواجه أي باحث طالب للعلم والمعرفة منها قلة المصادر وصعوبة الحصول عليها في الوضع الراهن، وصعوبة التنقل لجمع المعلومات الكافية، وعدم وجود دراسات كافية عنيت بدراسة كتاب رحلة القلصادي، مع غياب الأبحاث والدراسات المتخصصة.

فبالرغم من الصـــعوبات التي صـــادفتنا إلا أننا حاولنا معالجة هذه الظاهرة بالتطلع والتعامل مع مختلف المصادر لإثراء البحث فكلما اتسعت وتنوعت موارد البحث كلما ازداد ثراء وامتلك صاحبه آليات الفهم العميق والصحيح للحدث التاريخي.

ونظرا لتنوع وتشعب البحث وعلومه وتماشيا مع ذلك فإن هذه الدراسة تحتاج إلى أصناف متنوعة من المؤلفات تأخذ ترتيبها انطلاقا من أهميتها في الموضـوع، فاسـتخدمنا عدة مصـادر ومراجع في شـتى العلوم منها كتب التراجم والتاريخ والفقه وغيرها وأولى المصـادر المسـاعدة والذي يعد ركيزة الموضوع وهو كتاب محل الدراسة

- **"تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب" (رحلة القلصادي) لأبو الحسن علي القلصـــادي (ت891هـ/1486م):** الذي أفادنا كثيرا في الدراســـة فهو يعد من أهم المصنفات التي رسمت صورة للمشهد الثقافي ومختلف التيارات الفكرية إضافة إلى أهم العلوم وعلمائها بالمغرب الإســـلامي خلال القرن التاســـع للهجري. ويليه مصدرين آخرين نذكرها على التوالي
- **"مقدمة ابن خلدون" (ت808هـ/1405م):** تكمن أهميته في كون صـــاحبه واحد من علماء المغرب الإسلامي الذي ساهم في ازدهار وتطور الحركة العلمية، عالجنا بواسطة هذا الكتاب ما تعلق بترتيب العلوم وتعريفها والكتب المدروسة فيها والاطلاع على مناهج التعليم.
- **"البســـتان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمســـان" لمحمد بن محمد المديوني التلمســـاني المعروف ابن مريم (ت1014هـ/1605م):** ترجم فيه لمائة اثنان وثمانين عالما من تلمســـان وأوليائها، والكتاب يميل إلى الإيمان القوي بكرامات الأولياء، لذا جاء كتابه محتويا على الكثير من أخبارهم وكرامتهم، اســـتفدت منه في تراجم العلماء وفي نقله في ثنايا ذلك لكثير من النصوص التي تتعلق بطرق التعليم والإجازة والاجتهاد وغيرها من الإشارات.

بالإضافة إلى المصادر المذكورة هناك مراجع ساهمت في إثراء هذه الدراسة منها

- **تلمسان في العهد الزياني، الجزء الأول والجزء الثاني، لعبد العزيز فلالي:** وهو كتاب يحيط بتلمســـان من كل الجوانب، واســـتفدنا منه كثيرا في الحياة العلمية بتلمســـان في القرن التاســـع للهجري.
- **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـــ/1236-1554م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإســـلامي، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمســـان، 2004-2005، للأخضـر عبدلي:** والتي استفدنا منها في ماله علاقة بالمغرب الأوسط من علماء وعلوم وماله صلة بالحياة العلمية في العهد الزياني.

- **العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوســـط ما بين القرنين 7و9هـ/13و15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة سيدي بالعباس، 2015-2016م، لرزيوي زينب:** والتي اســتفدنا منها في العلوم والمعارف وماله علاقة بها في المغرب الأوسط.

بالإضــافة إلى مصــادر ومراجع أخرى على اختلاف درجة اســتغلالها، إلا أن ما تجدر الإشارة إليه حولها أنها كانت مستفيضة حول بعض الجوانب وشحيحة إلى درجة السكوت أحيانا عن بعض الجوانب التي شملتها الدراسة.

وصـــفوة القول إن تراثنـا العلمي أكبر بكثير من أن نوفيـه حقـه في هـذه الـدراســـة، واني على يقين أن في عملنـا هـذا لم نبلغ المراد فتلـك من طبيعـة البشـــر والحمـد اللـه الـذي تفرد لنفسه بالكمال وجعل النقص سمة تستدل على جملة البشر.

الفـصـل الأول

أبـي الحسن علـي القلصادي والواقع السياسـي للمغرب الإسلامـي في عصره

شخصية القلصادي

التعريف بكتاب رحلة القلصادي وقيمته

المغرب الإسلامي ما بين القرنين 8هـ-9هـ

المبحث الأول

شخصية القلصادي

اسمه ونسبه

مولده ونشأته

تعليمه ومكانته العلمية

وفاته ومؤلفاته

المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو أبو الحسن نور الدين[1]، علي بن محمد بن محمد[2]، بن علي القرشـــي[3]، البســـطي[4]، الأندلسي المالكي[5]، الشهير بالقلصادي.

المطلب الثاني: مولده ونشأته

ولد علي بن محمد الشهير بالقلصادي بمدينة أندلسية تقع في الشمال الشرقي لغرناطة[6]، وهي مدينة "بســطة "، التابعة لكورة "جيان"[7] وهي مدينة جميلة أحبها القلصـــادي ووصـــفها في مقدمة رحلته قائلا: "وبرحلتي من بسطة مسقط رأسي وموضع أول أنفاسي، مقر الألفة والأنس، من جزيرة الأندلس، أدامها الله للإســـلام، وحماها من عبدة الأصـــنام."[8] وكان مولد القلصـــادي

---

[1]– إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1992م، ج1، ص737.

عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج7، ص230.

[2]– عند بعض من ترجم للقلصادي ذكر بأنه علي بن محمد بن علي، بإسقاط "محمد" وهذا ما ذكره كل من عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات**، باعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982م، ج2، ص962. ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، باعتناء: محمد ابن ابي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص141.

[3]– وذلك عند جميع من ترجم له، إلا عند صاحب هدية العارفين، ج1، ص737 الذي قال: محمد بن علي الفرشي (بالفاء).

[4]– نسبة إلى مسقط رأسه مدينة بسطة شمال شرقي غرناطة.

[5]– إسماعيل باشا البغدادي، المرجع نفسه، ص737.

[6]– غرناطة: مدينة بالأندلس بينها وبين واد آش أربعون ميلا وهي من مدن إلبيرة ويشقها نهر يسمى حدره وبينها وبين إلبيرة ستة أميال، وتعرف بأغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهودا، وأصبحت من أكبر وأهم أمصار الأندلس. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م، ص45.

[7]– جيان: مدينة بالأندلس بينها وبين بيآسة عشرون ميلا، وتقع على بعد 97كم شمالي غرناطة وتسمى اليوم جين(Jean)، ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص183.

[8]– أبو الحسن علي القلصادي، **تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب (رحلة القلصادي)**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص82.

سنة 815هـ/1412م[1]، أو قبلها[2]، أو بعدها بقليل، وبمدينة بسطة الجميلة نشأ أبو الحسن علي القلصادي.

المطلب الثالث: تعليمه ومكانته العلمية

يعد القلصادي من علماء الأندلس الذين عايشوا احتضار معقل من معاقل الإسلام وجنة من جنانه في القرن التاسع للهجري، حيث كان الفضاء السياسي معتما، الأمر الذي أثر على المستوى العلمي. وقد حدث القلصادي بذلك في ترجمته لشيخه أبو الحسن علي اللخمي القرباقي[3]، وذكر أن سوق العلم لم تعد رائجة ببسطة مسقط رأسه، ولا بالحصون التابعة لها مثل شوجر[4] وقنالش[5]، بعد أن كانت الحركة العلمية مزدهرة، والتنافس قائما بين العلماء، وعبر عن حزنه وأساه لتردي الحالة السياسية والعلمية التي أصبحت عليها مملكة غرناطة بإنشاده هذا البيت:

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

ومع هذا فإن القلصادي لم يتخل عن طلب العلم والحرص على الاستفادة من علماء الأندلس، فذكر في رحلته أنه تلقى دراسته الأولى على أيدي شيوخ بسطة وغيرها من المدن

---

[1]– خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002، ج5، ص10.

[2]– شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجبل، بيروت، ج6، ص14.

[3]– القرباقي: هو علي بن موسى بن عبد الله اللخمي البسطي، عرف بالقرباقي المفتي المؤلف المدرس المصنف الذاكر لأحوال العرب وأنسابها، حافظا للغاتها وآدابها، له في العربية أوفر نصيب وفي التفسير والحديث والأصول والطب سهم مصيب، توفي ببسطة في الوباء سنة 844هـ. أنظر: أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، اشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ص334.

[4]– شوجر: ويقصد بها شوذر وهي من الحصون التابعة لبسطة تبعد عنها ستة أميال، وهي آخر بلاد الأندلس من ناحية الجنوب، وتعرف بغدير الزيت لكثرة زيوتها وهي ذات مياه وبساتين كثيرة. أنظر: القلصادي، المصدرالسابق، ص86.

[5]– قنالش: وهي من الحصون التابعة لبسطة تقع جنوبها، بالقرب منها وتسمى اليوم caniles. أنظر: لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مراجعة وتقديم، بوزيان الدراجي، دار الأمل لدراسات، الجزائر، 2009م، ج1، ص240.

والقرى المجاورة لبلدته[1]، نذكر منهم:

- الولي الصالح أبو الحسن علي بن عزيز[2] المهتم بقراءة القرآن.
- أبو عبد الله محمد القسطرلي[3] الورع المشارك في كثير من علوم الشريعة وعلوم العربية.
- أبو بكر البياز المقرئ[4].
- أبو عبد الله محمد بن محمد البياني[5].
- أبو أحمد جعفر بن أبي يحيى[6] المتضلع في الفقه والفرائض والحساب.
- أبو الحسن علي اللخمي القرباقي الحاذق لعلوم عصره.

تمحورت دراسة القلصادي في هذه الفترة حول مختلف العلوم في عصره وخاصة التجويد والتفسير، والحديث النبوي وفروع الفقه وقواعد اللغة العربية، والحساب الذي له صلة وثيقة بالفرائض، وكان منهج الدراسة يعتمد على المنظومات والمتون وشروحها التي كانت سائدة في مدارس الأندلس والمغرب الإسلامي في ذلك العهد.[7]

وكان القلصادي يتردد على غرناطة للاستفادة من علمائها. وحرصه العلمي لم يقف به عند حدود الأندلس وإنما جعله يلتمس العلم في تونس والمشرق، رغم المخاطر التي كانت

---

[1]– القلصادي، المصدر السابق، ص31.

[2]– علي بن عزيز: هو الشيخ المقرئ الولي الصالح أبو الحسن علي بن عزيز، من أهل الدين والورع وكان له اعتناء بقراءة القرآن توفي في الوباء سنة 844هـ. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص83.

[3]– محمد القسطرلي: هو الإمام الفقيه أبو عبد الله محمد القسطرلي كانت له مشاركة في أكثر العلوم من القراءة والحديث والفقه والعربية...، توفي في الوباء سنة 844هـ. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص84.

[4]– البياز: وهو الإمام الفقيه أبو بكر البياز توفي بمنطقة البيازين بغرناطة في القرن 9هـ. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص84.

[5]– محمد البياني: هو الشيخ الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد البياني توفي سنة(876هـ/1472م). أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص85.

[6]– جعفر بن أبي يحيى: وهو الشيخ الإمام الفقيه العالم الخطيب الشهير أبو أحمد جعفر بن أبي يحي، ولد ونشأ بشوجر التابعة لبسطة، وكان له إعتناء بحفظ الفروع وبعلم الفرائض والعدد وكانت له مشاركة في علم الحديث والقراءة والعربية. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص86.

[7]– القلصادي، المصدر نفسه، ص31.

تكتنف بلاده، والأخطار التي كانت تترصـــد في الطريق. ولم يكن يتلقى العلم فقط، بل يقدم معارفه وعلمه ويُدرس في كل البقاع التي كان يزورها حتى قيل عنه في مجال التدريس: " كان على قدم في الاجتهاد والتدريس"، ولذلك نجده يذكر في حديثه عن نشـــاطه العلمي أنه يطلب العلم قراءة وإقراء، وفي ذلك يقول أحد تلاميذه وهو أبو عبد الله محمد الملالي: "كان عالما فاضلا شريف الأخلاق سالم الصدر، له تأليف أكثرها في الحساب والفرائض كشرحه العجيب على تلخيص ابن البنا وشرحه العجيب على الحوفي، انتفع عليه خلق كثير"[1]، ويصفه المقري بأنه كان كثير المواظبة على الدرس والكتابة والتأليف، وأنه "آخر من له التأليف الكثير من أئمة الأندلس"[2].

وفي ســـنة 840 هـ بدأ القلصـــادي رحلته العلمية الحجازية، وكان أول مرفئ علمي له مدينة تلمسان[3] التي كانت تعيش أزهى أيام حياتها الثقافية[4]، فأخذ عن أشهر علمائها في ذلك العهد من أمثال محمد بن مرزوق المعروف بالحفيد[5] وأبو مهدي عيســى الرتيمي[6] وأبو عبد الله

---

[1]– ابن مريم، المصدر السابق، ص141.

[2]– أحمد بن محمد التلمساني المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج3، ص144؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص209.

[3]– تلمسان: تقع في الشمال الغربي من المغرب الأوسط، كلمة امازيغية مركبة من لفظتين (تلم) ومعناها تجمع و(سن) ومعناها اثنان، أي تجمع بين الصحراء والتل أو ما بين البر والبحر، لعبت ما بين القرنين (7–9هـ/13–15م) دورا بالغ الأهمية، فكانت العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية لدولة بني زيان. ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت)، ص52؛ حسن الوازن، **وصف إفريقيا**، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983، ص ص17–21.

[4]– القلصادي، المصدر نفسه، ص32.

[5]– محمد بن مزوق: يعرف بابن مرزوق الحفيد وهو العلامة الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، عالم بأصول الفقه والنحو واللغة وهو مرجع الفقه المالكي، ولد سنة 766هـ بتلمسان وتوفي سنة 842هـ. ينظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص96؛ السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، 1992، ط1، ج7، ص50.

[6]– عيسى الرتيمي: هو الشيخ الفقيه العالم في الفرائض والعدد أبو مهدي عيسى الرتمي، الشهير بأمزيان وكان له مقصد حسن في التعليم، ولم يكن يحسن تعليم المبتدئ لذلك لم يشتهر عند جميع الناس، توفي ودفن قرب الولي الصالح سيدي الحلوي. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص99.

محمد الشـريف التلمسـاني[1] وغيرهم. كما عقد حلقات الدرس والإقراء. وظل في تلمسـان حوالي ثمان سنوات، فضلا عن سبعة أشهر قضاها فيها في طريق عودته إلى الأندلس. وكانت تونس المحطة العلمية الثانية التي حط بها في رحلته، وعبر عن إعجابه بفضـائها الثقافي لما رأى فيها من سـوق العلم حينئذ نافقة وينابيع العلوم على اختلافها مغدقة[2]، وتلقى عن علمائها وشـيوخها أمثال أبو العباس أحمد القلشـاني[3] وأبو عبد الله محمد الدهان وأبو عبد الله محمد بن عقاب الجذامي[4] وغيرهم. وكانت إقامته بها سـنة كاملة. ثم اتجه القلصـادي إلى القاهرة عبر جربة وطرابلس الغرب والإسكندرية. وفيها أخذ عن الشـيخين زين الدين طاهر النويري المالكي[5] وعلم الدين الحصـني الشـافعي، ولم تتجاوز إقامته بالقاهرة سوى سـتة أشـهر، إلا أنه في عودته من الديار المقدسة ظل بها أكثر من ثلاثة عشر شهرا اشتغل فيها بطلب العلم والتدريس والإقراء. ثم انطلق نحو الديار المقدسة لتأدية العمرة ثم مناسك الحج، والاشتغال بتأليف كتاب "شرح فرائض ابن الحاجب" كما اشتغل برواية الأحاديث النبوية عن الشيخ المحدث أبو الفتح الحسن المراغي[6] الذي أجاز القلصـادي في أسـانيده على كتب الأحاديث. وقد اسـتمرت رحلة القلصـادي حوالي خمسة عشر سنة (840هـ/855هـ)، ذهابا وإيابا، حرص فيها على طلب العلم وتدريسه، ولقاء

---

[1]– محمد الشريف التلمساني: هو الشيخ الفقيه محمد أبو عبد الله الشريف التلمساني إمام جامع الخراطين، توفي سنة 847هـ ودفن بباب الجياد. أنظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص222.

[2]– القلصادي، المصدر السابق، ص115.

[3]– أحمد القلشاني: أبو العباس أحمد بن محمد القلشاني، أخذ عن الشيخ أبو مهدي عيسى الغبريني وأدرك ابن عرفة، ولي قضاء الجماعة بتونس وله عدة مؤلفات أبرزها " تحرير المقالة في شرح الرسالة"، توفي سنة(863هـ/1458م). ينظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص115.

[4]– محمد بن عقاب: هو الشيخ الفقيه والإمام المحدث والأستاذ المقرئ والعلامة القاضي أبو عبد الله محمد بن عقاب، إمام في الفقه وأصوله، وعلم الكلام وفصوله تولى قضاء الجماعة بتونس وبرز في ميدان التدريس، وولي في آخر عمره إمامة المسجد الأعظم بتونس، توفي سنة (851هـ/1447م). أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص118.

[5]– زين الدين طاهر: هو زين الطاهر بن محمد بن علي النويري القاهري الأزهري، عالم مقرئ أحد أئمة المذهب المالكي في جميع الفنون، قرأ على ابن الجزري ولازم القاياتي في العلوم العقلية، ولي التدريس بالبرقوقية وبمدرسة حسن، توفي سنة856هـ. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، الهامش201، ص129.

[6]– الحسن المراغي: هو شرف الدين أبو الفتح محمد بن قاضي القضاة زين الدين بن أبي بكر بن الحسن العثماني المراغي المدني الشافعي، وهو عالم ومحدث وراوي ومؤلف. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، الهامش222، ص135.

شيوخ وعلماء عصره في المغرب العربي ومشرقه، ثم رجع إلى مسقط رأسه قبل أن ينتقل إلى غرناطة ويستقر بها حينا من الزمن، لكن مع كثرة الاضطرابات والخطر المتفاقم فيها خرج منها حوالي سنة 888هـ[1]، ونزل بتلمسان ثم رحل إلى باجة إفريقية ومكث بها ثلاثة سنوات وأربعة أشهر.

وكان في كل بلدة ينزل بها يؤلف عددا من التصانيف العلمية، من ذلك ما ألفه في تونس من مثل(انكشاف الجلباب عن قانون الحساب) وغير ذلك من المصنفات التي عُدَّ بها آخر من له التأليف الكثيرة من أئمة الاندلس، ومن الأئمة الذين تتلمذوا على يديه الشيخ أحمد بن علي بن داود البلوي[2]، الذي يصف شيخه القلصادي بقوله: " شيخنا الامام العالم الصالح، خاتمة الحساب والفرضيين أبو الحسن، أصله من بسطة وبها تفقه على شيخ طبقتها وبقية شيوخها أبي الحسن القرباقي، ثم انتقل لغرناطة فاستوطنها لأخذ العلم فأخذ بها عن جملة شيوخها كالأستاذ أبو إسحاق بن فتوح والامام المشاور أبو عبد الله السرقسطي وغيرهما، رحل للمشرق فلقي كثيرا وانتفع به(...) ثم حج ولقي أعلاما وعاد إلى غرناطة فوطنها حتى حل بوطنه ما حل فتحيل في تخليصه من المشرك، فأدركته المنية بباجة من إفريقيا منتصف ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة"[3]، ونص البلوي يبين أن القلصادي لم يكن مهتما بالعلم فقط، وإنما كان مشاركا في الخروج ببلاده من البلاء الاستعماري الذين اجتاحها. لكن المصادر التي تؤكد هذه المشاركة لم توضح في كيفيتها وطبيعتها إلا بألفاظ غامضة من مثل " فتحيل في تخليصه من المشرك"[4] نستنتج منها اهتمامه وفاعليته ولا ندرك كيفية عمله في تخليص بلاده

---

[1]– القلصادي، المصدر السابق، ص39.

[2]– أحمد بن علي البلوي: هو أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي أبو جعفر الفقيه المتفنن الضابط الناظم الناثر، أخذ عن والده العالم أبي الحسن وأبو الحسن القلصادي وابن مرزوق الكفيف، ارتحل مع أبيه واخوته من غرناطة إلى تلمسان سنة890هـ. أنظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص138.

[3]– أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص314.

[4]– ابن مريم، المصدر نفسه، ص142.

من المستعمر[1].

المطلب الرابع: وفاته ومؤلفاته

بعد ستة وسبعين سنة من العمر، وأكثر من خمسين سنة من العطاء العلمي، تدريسا وتأليفا، أدرك المنية الشيخ العلامة أبو الحسن علي بن محمد القلصادي، في منتصف شهر ذي الحجة من عام (891هـ)[2]، الموافق لـــ: ديسمبر (1486م) بباجة إفريقيا[3]، ودفن بمكان يعرف عند أهالي باجة بالمسجد بضاحية سيدي فرج على ربوة تشرف على المدينة[4].

برز أبو الحسن علي بن محمد القلصادي في علوم كثيرة من أهمها علم الرياضيات وكان من أوائل من استخدم الرموز والإشارات الجبرية التي نعرفها في تاريخنا المعاصر والقلصادي بقي مرجع طلاب العلم في المشرق والمغرب[5]، وطوال حياته العلمية، ومن مؤلفاته في علم الرياضيات ما يلي:

1. غنية ذوي الألباب في شرح كشف الجلباب.
2. كشف الأسرار في علم الغبار.
3. كشف الجلباب في علم الحساب.
4. شرح تلخيص ابن البناء.
5. التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد.
6. التبصرة في حساب الغبار.

---

[1]– القلصادي، المصدر السابق، ص ص38–39.

[2]– عبد الحي الكتاني، المصدر السابق، ص963.

[3]– باجة إفريقيا: هي مدينة قديمة تعرف بباجة القمح، وهي تقع الآن في الشمال الغربي من البلاد التونسية على بعد 101كلم من العاصمة التونسية، نقل عن ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص314.

[4]– القلصادي، المصدر نفسه، ص52.

[5]– علي عبد الله الدفاع، **المدخل إلى تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981، ص ص 184–185.

7. رسالة ذوات الأسماء.
8. شرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة.
9. قانون الحساب وشرحه المسمى: (انكشاف الجلباب عن قانون الحساب)[1]
10. تبصرة المبتدي بالقلم الهندسي.
11. رسالة معاني الكسور.

ومن مؤلفاته في الفرائض والمعارف الأخرى نجد:

1. أشرف المسالك إلى مذهب مالك.
2. النصيحة في السياسة العامة والخاصة.
3. هداية الأنام في شرح مختصر قواعد الإسلام.[2]
4. الضروري في علم المواريث.
5. الكليات في الفرائض وشرحها.
6. المستوفي لمسائل الحوفي.
7. شرحان على التلمسانية.
8. تقريب المواريث وغنية العقول البواحث.
9. بغية المبتدي وغنية المنتهي.
10. شرح رجز الشيرازي في الفرائض.[3]
11. شرح ايساغوجي في المنطق.
12. شرح الأنوار السنية في الحديث.

---

[1]– أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص–ص 209–210.
القلصادي، المصدر السابق، ص ص40–41.

[2]– ابن مريم، المصدر السابق، ص142.

[3]– إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، ص738.
القلصادي، المصدر نفسه، ص ص41–43.

13. شرح رجز الشران.
14. شرح حكم ابن عطاء الله.
15. شرح رجز أبي عمرو بن منظور في أسماء النبي صل الله عليه وسلم.
16. شرح البردة.
17. شرح أرجوزة ابن فتوح.
18. شرح فرائض التلقين لابن الحاجب.
19. شرح فرائض مختصر خليل.
20. شرح على ألفية ابن مالك.
21. شرح الأجرومية وجمل الزجاجي والخزرجية.
22. مختصر في العروض.[1]
23. غنية النحاة.
24. شرح رجز ابن إسحاق في النجوم.
25. شرح رجز ابن بري.
26. شرح التلخيص في المعاني والبيان.
27. رحلة حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق.[2]

ويشير الأستاذ أبو الأجفان محقق رحلة القلصادي، إلى أن القلصادي في تأليفه في علم الفرائض "أصبح يميل في آخر حياته إلى الاختصار بعد أن كان مولعا بالتوسع والبسط في السنوات الأولى من عطائه العلمي..."[3].

وأخيرا كما يقول علي عبد الله الدفاع في كتابه (المدخل إلى تاريخ الرياضيات): "إن القلصادي قدم خدمة عظيمة ليس للحضارة العربية والإسلامية فحسب، بل للحضارة على

[1]– أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص 210.
[2]– إسماعيل باشا البغدادي، المرجع السابق، ص738.
[3]– القلصادي، المصدر السابق، ص71.

العموم، إذ بقيت مؤلفاته في الحساب مستعملة حتى القرن العشرين في مدارس وجامعات أوروبا والعالم أجمع..."،[1] فضلا عن إسهاماته الكبيرة في علوم الحديث والفقه والنحو والأدب والشعر وغيرها من المعارف العربية والإسلامية.

[1]– علي عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص ص207–208.

المبحث الثاني

التعريف بكتاب رحلة القلصادي وقيمته

أسلوبه ومنهجه في التأليف

مضمون الكتاب

أهمية الكتاب

المطلب الأول: أسلوبه ومنهجه في التأليف

تعتبر رحلة القلصادي من الرحلات الحجازية الأدبية، فهي تمزج في غرضها عناصر العبادة والدراسة والاستكشاف، والواقع أنه عند تدوينها لم يجعلها مقتصرة على الوصف للمعالم والبلدان وذكر الأحداث، كما فعل بعض المدونين لرحلاتهم، كما أن القلصادي لم يقتصر على ذكر مشايخه وأسانيده وإجازاته والكتب التي درسها ومؤسسات العلم التي ارتادها، كما فعل أصحاب الرحلات الفهرسية، وإنما جعلها جامعة بين هذا وذاك[1]، وقد دون رحلته بأسلوب سهل وواضح حتى يتسنى لقارئها الاطلاع على ما ورد فيها من أعلام وأحوال البلاد التي مر بها.

فهي رغم استنادها إلى الحقيقة والمرجعية الصادقة ومناشدة الفائدة العلمية المباشرة، وابتعادها عن التخييل الذي هو صفة لازمة لأي نص جمالي، إلا أنه عوضها بالكثافة البلاغية، كما أنها تجسد تجربة إبداعية وإنسانية تدفع الباحث لمحاولة الكشف عن تشكيلاتها الجمالية المختلفة التي صيغت فيها حيث طغى على أسلوبه السجع[2]، وكان في تعريفه بالشيوخ الذين التقى بهم يميل إلى الإيجاز ولا يتوسع في بسط الأخبار عنهم، ولا يذكر إلا ما يتصفون به من زهد وورع وتفقه، وهي الخصال التي تعجب القلصادي ويركز عليها، ليبين مكانة الشيخ العلمية والدينية[3].

وبما أن الهدف من هذه الرحلة كان هو لقاء العلماء والتعريف بهم كما ذكر في مقدمتها، فقد اتبع الكاتب منهج الرحلات الفهرسية التي توثق ما قرأه عن شيوخه، أو أقرأه لطلبته، وذلك باستعماله لألفاظ معينة مثل: قرأت عليه...[4]، فقرأت عليه بلفظي...[5]، وحضرت عليه بقراءة

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص70.

[2]- نفسه، ص72.

[3]- نفسه، ص ص96-102.

[4]- نفسه، ص ص84-85.

[5]- نفسه، ص ص103-107.

غيري[1] وهكذا....

وحرصا على إثبات الدافع للكتابة، فقد مزج القلصادي بين منهج الرحلات الفهرسية التوثيقي وبين وصفه للبلدان التي مر منها أثناء الذهاب والإياب، وقد دفعه حرصه التوثيقي إلى التأريخ الدقيق لانتقاله من مكان إلى آخر، حيث قال عنها المقري: "رحلته الشهيرة حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من أحوالهم"[2]، وقال عنها الكتاني: "له رحلة وفهرست في شيوخه"[3].

المطلب الثاني: مضمون الكتاب

استفتح القلصادي كتابه "تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب" والمعروفة برحلة القلصادي، بالبسملة ودوافع رحلته والقصد من تدوينها كما قال: "أما بعد فالمقصود من هذا الموضوع أن يكون معرفا بأشياخي، من أهل العلم الذين أخذت عنهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وبرحلتي من بسطة..."[4]، فيذكر في رحلته أنه تلقى دراسته الأولى على أيدي شيوخ بسطة وغيرها من المدن والقرى المجاورة لبلدته، من أمثال أبي الحسن علي بن عزيز وأبي أحمد بن أبي يحيى وأبي الحسن علي اللخمي وغيرهم[5]،كما كان يتردد على غرناطة للاستفادة من علمائها، ثم وصف مدينة بسطة وصعوبة فراقها وركوبه من غرناطة إلى وهران فتلمسان التي مدح في وصفها قائلا: "تلمسان يالها من شان، ذات المحاسن الفائقة، والأنهار الرائقة، والأشجار الباسقة، والأثمار المحدقة والناس الفضلاء..."[6].

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص122.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج2، ص694.

[3]- الكتاني، المصدر السابق، ج2، ص962.

[4]- القلصادي، المصدر نفسه، ص82.

[5]- نفسه، ص ص83-87.

[6]- نفسه، ص95.

بعد وصف تلمسان تطرق القلصادي إلى ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم في هذه الحاضرة مبتدأ بمحمد بن مرزوق المعروف بالحفيد وأبي مهدي عيسى الرتيمي وأبي عبد الله محمد الشريف التلمساني وغيرهم من كبار العلماء والفقهاء مع ذكر الكتب التي قرأها عليهم أو سمعها في مجلسهم[1]، كما ذكر الشيوخ الذين حضر مجلسهم ولم يقرأ عليهم أمثال الحسن بن مخلوف[2] وأبو الفضل بن الامام[3].

تحدث القلصادي بإيجاز عن انتقاله إلى وهران ولقائه بالأحباب والاخوان فيها، ومن الشيوخ الذين ذكرهم القلصادي بوهران نجد إبراهيم التازي[4]، وأبو الحسن علي بن قاسم الشهير بالحداد وغيرهم من الشيوخ منهم من ذكر ومنهم من لم يذكر[5]، ثم تحدث عن سفره إلى تونس والمدارس التي أقام بها كما ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم، أمثال الشيخ أحمد بن محمد القلشاني وأحمد المنستيري[6] ومحمد الدهان و ...[7]، كما وصف القلصادي جربة وسفره من طرابلس إلى الإسكندرية، التي لم يبخل عليها بالوصف قبل وصوله إلى القاهرة والحديث عنها وعن لقائه بأصحابه من أهل المغرب الإسلامي، وذكر شيخيه بمصر وهما الشيخ زين الدين الطاهر وعلم الدين الحصني[8].

---

[1]– القلصادي، المصدر السابق، ص ص96–107.

[2]– الحسن بن مخلوف: هو العالم القطب الغوث سيدي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي أبو علي الشهير بأبركان، أخذ عن إبراهيم المصمودي وابن مرزوق الحفيد وأخذ عنه الحافظ التنسي وعلي التالوتي، وله مكاشفات كثيرة وكرامات عديدة توفي سنة 857هـ. أنظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص74.

[3]– القلصادي، المصدر نفسه، ص ص108–109.

[4]– إبراهيم التازي: هو الامام إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي نزيل وهران، الولي الورع الزاهد الصالح العارف القطب صاحب الكرمات العجيبة والقصائد الرائقة الانيقة، اماما في علوم القرآن مقدما في علم اللسان حافظا للحديث بصيرا بالفقه وأصوله، أصله من بني لنت قبيلة من بربر تازا توفي سنة 866هـ. أنظر: ابن مريم، المصدر نفسه، ص58.

[5]– القلصادي، المصدر نفسه، ص ص109–112.

[6]– أحمد المنستيري: هو الشيخ الفقيه الامام النحوي اللغوي المقرئ أحمد المنستيري التونسي أدرك ابن عرفة، وكان لا يعتني بأهل الدنيا ولا يعظمهم وانتفع به طلبة تونس ومن يرد عليها. أنظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص120.

[7]– القلصادي، المصدر نفسه، ص ص115–121.

[8]– نفسه، ص ص124–129.

وصف القلصادي طريقه من مصر إلى البقاع المقدسة وقيامه بمناسك العمرة، ولقائه بأصحابه من بسطة وتلمسان كما ذكر المعالم التي زارها بالتفصيل، ثم وصف مناسك الحج وصف دقيقا، وتحدث عن سفره من مكة إلى المدينة المنورة وأداء الزيارة قبل أن يشد الرحال نحو طريق العودة[1]، حيث دون القلصادي رحلته من المدينة المنورة إلى مصر مع ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم، أمثال الشيخ زين الدين طاهر والشيخ عبد السلام البغدادي[2] وشمس الدين محمد الكريمي[3]، وغيرهم من كبار الشيوخ والعلماء بمصر ثم شد الرحال نحو برقة، ومن طرابلس إلى تونس فوهران فتلمسان مع ذكر بعض تفاصيل الرحلة، كما تحدث عن الوصول إلى ألمرية فبسطة واستقراره بغرناطة[4]، وذكر شيخاه اللذان أخذ عنهما وهما محمد السرقسطي[5] وإبراهيم بن فتوح[6].

المطلب الثالث: أهمية الكتاب

نجح القلصادي وبشكل كبير ومفيد في رسم صورة حقيقية للحركة العلمية في الدولة الزيانية خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، في ضوء الظروف السيئة الناتجة

---

[1]– القلصادي، المصدر السابق، ص ص132–147.

[2]– عبد السلام البغدادي: هو عبد السلام بن أحمد بن عبد المنعم بن محمد بن أحمد القيلوي نسبة إلى قرية بأرض بغداد تسمى قيلوية، ولد حوالي سنة 780هـ بالجانب الشرقي لبغداد قرأ القرآن والأصول عن أحمد الدواليبي والنحو عن أحمد بن المقداد وقرأ الحديث والفقه والمعاني والطب والموسيقى، وأخذ التصوف من بلاد الروم وكانت له قوة في المناظرة. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، الهامش291، ص152.

[3]– محمد الكريمي: هو محمد بن فضل الله بن المجد أحمد الكريمي نسبة إلى بعض مشائخ خوارزم، ولد سنة 773هـ في مدينة خوارزم إنتقل مع أبوه إلى نجار فقرأ بها علم النحو والقرآن الكريم، ثم إنتقل إلى سمرقند فأخذ المعاني والبيان عن الشيخ نور الدين الخوارزمي ولازم الشريف الجرجاني. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، الهامش296، ص154.

[4]– القلصادي، المصدر نفسه، ص ص149–162.

[5]– محمد السرقسطي: هو محمد بن محمد بن محمد الأنصاري السرقسطي عالم غرناطة ومفتيها، أخذ عن أبي القاسم بن سراج ، كان من أحفظ الناس لمذهب الإمام مالك توفي سنة 865هـ على عمر يناهز احدى وثمنين سنة. أنظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص539.

[6]– إبراهيم بن فتوح: هو إبراهيم بن محمد بن فتوح العقيلي الأندلسي مفتي غرناطة وعالمها في الفقه والنحو والمنطق، توفي سنة 867هـ قال عنه القلصادي شيخ علماء الأندلس تخرج على يده أكثر طلبة الأندلس الأعيان. أنظر: التنبكتي، المصدر نفسه، ص58.

عن محاولات الحفصيين فرض هيمنتهم على بلاد المغرب الأوسط [1]، وعدم الاستقرار الذي كان يطبع الدولة الزيانية فقد كان يحكمها خلال الفترة التي زار فيها القلصادي تلمسان، أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الزياني(834–866هـ/1430–1462م) الذي تعرض إلى محاولات انقلابية وثورات قام بها منافسوه من البيت الزياني[2].

حيث تكمن أهمية رحلة القلصادي في اعتماد المترجمين لعلماء القرن التاسع الهجري على ما ورد فيها عن الأعلام الذين اتصل بهم، وذكر أحوالهم وأشار إلى قيمتهم العلمية وإلى ما يدرسون وأنواع الكتب، فمن الذين أخذوا عن هذه الرحلة المقري التلمساني صاحب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، وأحمد بابا التنبكتي صاحب (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)، وصاحب (كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج)، وابن مريم صاحب (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان)، ومخلوف صاحب (شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية)، وهم يذكرونها تارة باسم الرحلة وتارة أخرى باسم الفهرست[3].

تعد رحلة القلصادي من المصادر الهامة التي تزخر بمعلومات قيمة، وتعطي صورة واضحة عن الأحوال العلمية والثقافية في بلاد الأندلس والمغرب والمشرق في زمانه.

[1]– التنسي، المصدر السابق، ص245.

[2]– نفسه، ص ص247–248.

[3]– القلصادي، المصدر نفسه، ص76.

المبحث الثالث

الواقع السياسي للمغرب الإسلامي ما بين

القرنين 8هـ-9هـ

الواقع السياسي للمغرب الأوسط

الواقع السياسي للمغرب الأدنى

خضعت بلاد المغرب الإسلامي لحكم الدولة الموحدية[1] التي امتد سلطانها من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود مصر شرقا، ومن البحر المتوسط وبلاد الأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا، ولكن أعمار الدول كأعمار البشر[2] فقد عرفت هذه القوة الكبيرة ابتداء من القرن (7هـ/13م) تدهورا لقوتها وتفككا لأوصالها وتنازع ولاتها فتقاسموا أراضيها، وبرزت على انقاضها دول مستقلة وهي: الدولة الحفصية وعاصمتها تونس، التي استقلت بتونس وطرابلس والشرق الجزائري سنة (625هـ/1227م)[3]، والدولة الزيانية التي كان ظهورها بالمغرب الأوسط[4] سنة (633هـ/1235م) حدثا سياسيا بارزا أدى إلى تغيير جذري في الأوضاع السياسية بالمنطقة[5]، والدولة المرينية التي بسطت نفوذها على المغرب الأقصى

---

[1]– تأسست سنة (524هـ/1129م) على يد المهدي بن تومرت في شكل دعوة دينية وفكرية روحية، تطورت إلى كيان سياسي على يد خليفته عبد المؤمن بن علي الذي بسط نفوذ دولته على كامل المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، واتخذ من مراكش عاصمة له، إلا أن انهزامها في معركة العقاب بالأندلس سنة (609هـ/1269م)، وثورة بني غانية، من الأسباب التي عجلت بسقوطها سنة (688هـ/1269م) في يد المرنيين .ينظر: عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006، ص136؛ ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص172؛ ابن عذارى المراكشي، **المغرب في أخبار الاندلس والمغرب: قسم الموحدين**، تح: محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الاسلامي والدار البيضاء، لبنان والمغرب، ط1، 1985، ص15.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، تح: هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1 ،2007، ص190.

[3]– الحفصيون: نسبة إلى الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي، من قبيلة هنتانة إحدى بطون المصامدة، ويعد أبي زكرياء يحيى الأول مؤسس الدولة الحفصية سنة (625هـ/1227م)، والتي استمرت إلى غاية دخول الأتراك سنة(943هـ/1536م) ينظر: محمد الأندلسي الوزير السراج، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ج2، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985، ص140 ؛ ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص134؛ أبي عبد الله محمد الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، ص23.

[4]– المغرب الأوسط :اسم يطلق على الإقليم الواقع بين إفريقية والمغرب الأقصى، من بلاد الزاب شرقا إلى نهر ملوية غربا. ينظر: يحيى بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص84.

[5]– خالد بلعربي، **الدولة الزيانية في عهد السلطان يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية (633-681هـ/1235-1282)**، مطبعة الريان، تلمسان، ط1، 2005، ص43.

سنة(668هـ/1269م) بعدما قضت على ما تبقى من دولة الموحدين نهائيا واتخذت من فاس عاصمة لها[1].

1) الدولة الزيانية:

ينتسب الزيانيون إلى قبيلة بني عبد الواد[2] إحدى بطون زناتة، من أمراء القبائل الرحل الذين كانوا يجوبون صحراء المغرب الأوسط بحثا عن الكلأ والماء أي المراعي، ثم استقروا في السواحل زمن المرابطين، ولما سيطر الموحدون على بلاد المغرب الأوسط كان بنوا عبد الواد من اشد المعارضين لهم ونشبت بينهم معارك كثيرة، لكنها زالت بانضمامهم اليهم فساندوهم واظهروا لهم الطاعة، فمنحوا نتيجة ذلك اقطاعات وفيرة بنواحي تلمسان التي اتخذوها مستقرا لهم، فكانوا من اخلص قبائل زناتة[3] ولاء للدولة الموحدية يمثلون حماتها وأنصارها زمن قوتها[4]، وبضعفها استغل بنو عبد الواد الفرصة وازدادوا قوة واتسع نفوذهم وزادت

---

[1]– المرينيون: ينتمون إلى بني واسين إحدى بطون زنانة البربرية، أسقطوا مراكش عاصمة الموحدين وأسسوا دولتهم على أنقاضها في عهد يوسف يعقوب (656–685هـ/1258–1286م). ينظر: محمد ابن مرزوق، **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص107؛ ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص278.

[2]– بنو عبد الواد: فرع من فروع الطبقة الثانية من زناتة من بني واسين، وأصل تسميتهم عائد إلى جدهم عابد الوادي، وهم من ولد سجيح بن واسين بن يصلتين بن مسري بن زكرياء بن ورسيج بن مادغيس الأبتر، وهم عدة بطون (بنو ياتكتن، بنو وللو، بنو تومرت،...بنو القاسم الذي ينتسب إليهم بنو زيان حكام الدولة الزيانية، في حين يرى آخرون أن نسبهم شريف العلويين ولم يعط يغمراسن لذلك اهمية حيث قال: "إذا كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فننالها بسيوفنا"، أما ابو حمو موسى الثاني (760هـ/1359م) أظهر هذا النسب ونادى به. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج7، دار الكتاب اللبناني، (دت)، ص ص 186–191؛ التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمد بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص109–110.

[3]– زناتة: قبيلة مغربية تتكون من عدة بطون متشعبة، ينتشر أغلبها بالمغرب الأوسط، ومن فروعها: بني مرين، وبني توجين، جراوة ومغراوة...ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص3–4؛ الإدريسي، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق**، تح وتر: محمد الحاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص ص 111–112.

[4]– رزيوي زينب، **العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7و9هـ/13و15م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة سيدي بالعباس، 1436–1437هـ/2015–2016م، ص05.

سلطتهم واستقلوا عنها سنة (633هـ/1235م)[1]، وأسسوا دولتهم المسماة بالدولة الزيانية[2] بقيادة يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م)[3]، الذي اتخذ من تلمسان عاصمة له وصيرها دارا لملكه.

إن ما ميز الحالة العامة للمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة خلال فترة البحث غياب الامن والاستقرار السياسيين في غالب الأحيان نتيجة طمع كل دولة بالتوسع والزعامة على حساب الدول الأخرى، من اجل ضم التركة الموحدية بأي طريقة من الطرق، سواء بالادعاء أنها تمثل الشرعية الموحدية ومحاولة استمرارها، وهذا ما رفعت رايته الدولة الحفصية، أو رغبة في التسلط والزعامة على الملك وعرش زناتة، كما هو الحال للدولتين المرينية والزيانية، التي كانت أكثر الدول تضررا ومسرحا للعديد من الصراعات السياسية والعسكرية بسبب موقعها الجغرافي الذي جر عليها الويلات والدمار لوقوعها حلقة وصل بين المغربين الأدنى والأقصى، فأضحت وكأنها بين شقي رحى محصورة بين دولتين الحفصية والمرينية منافستين لها متناحرتين فيما بينها وجهت لها حملات عسكرية ميزتها الكثرة والاستمرارية، فانعكس ذلك على حدودها وسعة مساحتها التي كانت ما بين المد والجزر تبعا

---

[1]- عثمان الكعاك، **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، تقديم ومراجعة، أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2003، ص213.

[2]- الدولة الزيانية: يطلق عليها أسماء مختلفة وهي: الدولة العبد الوادية نسبة إلى قبيلة بني عبد الواد، ودولة يغمراسن باعتباره أول مؤسس لها، والدولة الزيانية نسبة إلى زيان والد يغمراسن، وأول من سماها بهذا الاسم أبو حمو موسى الثاني(760-791هـ/1359-1382م) عند إحيائه للدولة من جديد. ينظر: عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ص30.

[3]- هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، ولد سنة 603هـ/ 1206م، أول ملوك الدولة الزيانية، وامتد حكمه من (633-681هـ/1235-1282م). ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص200؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص162.

لقوة ملوكها أو ضعفهم وحسب قوة جيرانها شرقا وغربا[1]، فامتدت في غالبها من بجـــاية[2] وبلاد الزاب شـرقا إلى وادي ملوية غربا، ومن سـاحل بحر الروم (البحر المتوسـط) شـمالا إلى إقليم توات[3] جنوبا[4]، وعليه يتلخص الواقع السياسي للمغرب الأوسط الذي ساهمت في تشكيله أحداث وعوامل متنوعة وبدرجات متفاوتة الأهمية شـــكلت كل منها العقبة في ســـبيل تحقيق وحدته السياسيــة فيما يلي:

أ- الصراعات الحفصية الزيانية:

إن الذي أجج نار الصــراع ما بين الجارتين الحفصــية والزيانية هو اعتبار الحفصــيين أنفسـهم ورثة الموحدين لذا كانوا أشـد الطامعين في سـيادة المغرب الاسـلامي ولم شـمله تحت رايتهم باسم الشرعية الموحديــة[5]، بدءا بمؤسس الدولـــة (أبـــو زكريـــا الأول) الذي حكم ما بين (625-647هـــ/1228-1244م)[6]، فكان المغرب الأوسط في صدارة اهتماماته بحكم الجوار فوجه انظاره نحوه للتوسـع وإزاحة بني زيان منه[7]، في حين كان يغمراسـن يدرك حقيقة نواياه لذا وجه انظاره شرقا لتوسيع نفوذ دولته وفق سياسة رسمها وأوصـى بها ولي عهده عثمان بتطبيقها

---

[1]- شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1980**، ج2، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983، ص202.

[2]- بجاية: مدينة ساحلية قديمة بناها الناصر بن علناس الحمادي سنة 460هـ واتخذها عاصمة لدولته، وصارت خلال القرن (8هـ/14م) تابعة للدولة الحفصية، تميزت بشهرتها العلمية والأدبية والثقافية والتجارية ...ينظر: حسن الوازن، المصدر السابق، ج2، ص50؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص116.

[3]- إقليم توات :هو المنطقة الواقعة جنوب المغرب الأوسط على تخوم بلاد السودان الغربي، واشتهر بقضية اليهود التي أثارها محمد المغيلي. ينظر: حاج أحمد آل المغيلي، **التاريخ الثقافي لإقليم توات**، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2011، ص41.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص45.

[5]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص07.

[6]- هو أبو زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص عمر الهنتاني، مؤسس الدولة الحفصية حيث بويع سنة 625هـ/1228م واستمر حكمه إلى غاية 647هـ/1244م .ينظر: محمد الأندلسي، المصدر السابق، ج2، ص ص143-146.

[7]- رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص08.

من بعده حيث قال له: "حاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عملات الموحدين والحفصيين وممالكهم، يستفحل به ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك"[1]، ما جعل المجابهة بين الطرفين قوية، تميزت بالتوتر والصراع الدائم الذي بدأ مع مؤسسي الدولتين واستمر بتوارثه جيلا بعد جيل[2]، فكانت أول حملة عسكرية بين الجانبين أواخر سنة 639هـ وبداية (640هـ/1242م)عندما اقدم أبي زكريا الأول على محاصرة تلمسان والسيطرة عليها، وانتهت الحملة بإبرام الصلح مع يغمراسن، بشرط تمثيله للسلطنة الحفصية بتلمسان، والحكم تحت وصايتهم[3]، لكن هذا الصلح لم يدم طويلا بين الجانبين فقد قطع أوصاله السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن[4](681-703هـ/1282-1304م) في أواخر القرن (7هـ/13م)، واستمر الصراع مع السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول(707-718هـ/1307-1318م) وابنه أبو تاشفين الأول[5](718-737هـ).

ب- الصراعات المرينية الزيانية:

إن الصراع الزياني المريني قديم جدا وكان هذا الصراع قائم حول المراعي ومنابع المياه[6]، ولكنه اشتد بعد تأسيس الدولتين، ودار على اختلاف بواعثه حول رياسة زناتة، وما جعل هذا الصراع مستمر هو تجاورهما وعدم تمكن احدهما من فرض سيطرته المطلقة على الاخر[7]، لذا مرت علاقاتهما بمراحل تعاقب فيها الهدوء والتوتر والسلم والحرب والمعاهدات ونقضها

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص190.

[2]- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص109.

[3]- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص205.

[4]- هو أبو سعيد عثمان بن يغمراسن ثاني ملوك بني زيان، حكم 21سنة من 681هـ إلى غاية وفاته في حصار تلمسان سنة 703هـ .ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر نفسه، ج7، ص188؛ يحيى بن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص208.

[5]- تولى الحكم سنة 718هـ، وقتله أبي الحسن المريني سنة 737هـ، وكان محبا للعلم وأهله وبناء الدور وتشييد القصور، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر نفسه، ج7، ص215 وما بعدها.

[6]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص11.

[7]- نفسه، ص11.

والمؤامرات والخيانات والحصارات...، فكان تاريخهما السياسي منذ نشأتهما إلى غاية سقوطهما حافل بالأحداث التاريخية، التي كانت في أغلبها متأزمة وعدائية ولدت فتنا وحروبا بين الطرفين[1]، خاصة خلال القرن (8هـ/14م) الذي يعد قرن معارك مستمرة بين الطرفين[2].

وجه السلطان المريني يوسف بن يعقوب[3](685-706هـ/1286-1306م)، العديد من الحملات العسكرية في فترات زمنية لا تتعدى تسعة سنوات، انتهت بالحصار الطويل لتلمسان أي حصار الثماني سنوات[4]، فأنشأ بها معسكرا كبيرا لقواته وجهزه بكل ما يحتاجه، ثم شرع في بناء مدينة سماها المنصورة[5]، فتحولت في وقت وجيز إلى قوة اقتصادية ومالية، واستحوذت على مكانة تلمسان وأصبحت العاصمة السياسية والإدارية والعسكرية للمغربين الأوسط والأقصى[6].

ت- التنافس على العرش:

من العوامل الاخرى للتدهور السياسي بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة الصراعات الداخلية على السلطة، شبهها بوزيان الدراجي[7] في كتابه بالجرثومة عند حديثه عن الدولة الزيانية "إلا أن جرثومة الخلاف والتآمر سرعان ما فتئت أن تسربت إلى هذه الدولة في أواخر عهد أبي حمو موسى الأول، مما أدى بولده أبو تاشفين عبد الرحمن الأول إلى ارتكاب خطيئته الكبرى بقتل والده، وتوليه الحكم، وكانت هذه المؤامرة سابقة خطيرة في الدولة بحيث أصبحت

---

[1]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص11.

[2]- محمد مبارك الميلي وعبد الله شريط، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص126.

[3]- هو يوسف بن يعقوب الناصر لدين الله، بويع بالحكم سنة 656هـ، واستمر إلى أن قتله خادمه في قصره بالمنصورة وهو محاصر لتلمسان، سنة706هـ .ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص374-388.

[4]- عبد العزيز فلالي، المرجع السابق، ج2، ص27.

[5]- تسمى المنصورة أو محلة المنصورة أو تلمسان الجديدة، تبعد حوالي 5 كلم غرب تلمسان، بنيت في فصل الشتاء سنة 699هـ/1299م، ثم أحيطت بصور سنة 702هـ/1302م .ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص204.

[6]- عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص27.

[7]- رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص15.

تقليدا متبعا من قبل كثير من أمراء الدولة فيما بعد"، طمعا في السلطة والتربع على كرسي العرش فخلع الابناء آباءهم ثم تحارب الابناء فيما بينهم لتقسيم الملك والاستبداد به، ومما ساهم أيضا في إشاعتها خاصة خلال القرن (9هـ/15م) التدخل الحفصي والمريني في ترتيب شؤون البيت الزياني لما يوافق مصالحهما، وذلك بزعزعة أركان الدولة الزيانية، فكان سببا في انقسام الاسرة الحاكمة إلى طامع للملك ومعارض له[1].

ث- التدخل الأوروبي:

إن صراع دول المغرب الإسلامي وانحطاطها كان مزامنا للتوحد والتكتل المسيحي[2]، الذي وجه حملاته العسكرية ضده ابتداء من القرن (9هـ/15م)، فسيطر على معظم شواطئه ومدنه الساحلية التي سقطت فريسة سهلة في أيديهم، وفي ظل هذا التدخل الأوروبي وضعف الدول في الدفاع عن أراضيها خاصة الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، فتكونت إمارات صغيرة حاولت القيام بهذه المهمة، قادها رجال التصوف مثل إمارة الثعالبة[3]، التي بسطت سيطرتها على مدينة الجزائر، والمناطق المجاورة منذ النصف الثاني من القرن (9هـ/15م)، ترأسها عبد الرحمن الثعالبي(ت875هـ/1490م)[4]، ورغم ذلك تمكن الاسبان من احتلال عدة مدن مثل وهران والمرسى الكبير وشرشال ومستغانم وجيجل، وبجاية ...، وأمام هذا الوضع الخطير لم يجد السكان مخرجا فأطلقوا صيحات الاستغاثة التي لبت نداءها الدولة العثمانية سنة 1518م، وهكذا انتهى الحكم الزياني بالمنطقة بعد أكثر من ثلاثة قرون[5].

---

[1]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص16.

[2]- نفسه، ص18.

[3]- ينتسبون إلى ثعلب بن علي من عرب المعقل استوطنت نواحي متيجة، كانت تحت النفوذ الزياني تارة والحفصي تارة أخرى، ثم استقلت بنفسها في النصف الثاني من القرن (9هـ/15م) بعد مقتل السلطان الزياني أبي زيان محمد سنة842 هـ .ينظر: عبد الرازق قسوم، **عبد الرحمن الثعالبي والتصوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص ص15-14.

[4]- رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص18.

[5]- عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005، ص ص 47-50.

2) الدولة الحفصية:

اختلف المؤرخون حول نسب الحفصيين إذ يرجعه البعض إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقولون عنهم هم من بني أبي حفص عمر بن يحي بن محمد بن والد بن علي بن أحمد بن ولآل بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن محبه بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]، وهناك من يرجعه إلى قبيلة هنتاته[2]، التي تعتبر من أهم قبائل المصامدة[3] على وجه الخصوص ومن أكبر قبائل البربر في المغرب الاسلامي، وموطنها بجبال درن القريبة من مراكش، فيقولون هو أبو حفص الهنتاتي[4].

لقد كانت دولة الحفصيين أسبق الدول الثلاث ظهورا واوسعها انتشارا حيث أعلن عن تكوينها رسميا سنة (625هـ/1227م) واستمرت دولة مزدهرة حتى عام (981هـ/1574م)، عندما تولى الناصر بن المنصور الحكم في الدولة الموحدية(596هـ/1199م) أسند إلى أبي محمد عبد الواحد أبي حفص[5] الهنتاتي أمر إفريقية، وأعطاه مطلق التصرف في إدارتها، وهكذا بقي الحكم في إفريقية لبني حفص بعد سقوط الدولة الموحدية بسبب النظرة البعيدة للأحداث والحنكة السياسية التي كان يتمتع بها بنو حفص وخاصة أبو محمد عبد الواحد حيث استغل

---

[1]– مروة مهرية وعقيلة ولابي، **الصراع السياسي بين الحفصيين والمرنيين(732هـ/759هـ) (1331م/1358م)**، مذكرة مكملة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 1437–1438هـ/2016–2017م، ص08.

[2]– هنتاته: قبيلة بربرية من أهم قبائل المصامدة تقع جنوب مراكش وكانت من أهم القبائل المساهمة في دعوة بني حفص انظر: ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص104.

[3]– المصامدة: تنسب هذه القبيلة إلى أيلان بن مصمود بن يازيغ وقد أقاموا بالمغرب الأقصى، وهو ولد مصمود بن يونس أكبر قبائل البربر وأوفرهم من بطونهم برغواطة وغمارة أهل جبل الدرن. انظر: عبد الرحمان ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص275.

[4]– مروة مهرية وعقيلة ولابي، المرجع نفسه، ص08.

[5]– أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص: جلس على كرسي الإمارة بقصبة تونس سنة (603هـ/1207م) كان ذكي فطنا شجاعا توفي سنة(618هـ) ودفن بالقصبة. انظر: الزركشي، المصدر السابق، ص18.

قربه من بلاط الحكم ليتعرف عن كثب عن مصـــادر القوة باتخاذ القرارات العامة في الدولة الموحدية ومنها يبني أهدافه المســـتقبلة وهي الظفر بدولة المغرب الأدنى ، كما لعبت القبائل العربية دورا مهما في قيام الدولة الحفصية.

ويعتبر الانفصـــال الرســـمي للحفصـــيين عن الدولة الموحدية كان على يد أبي زكرياء المؤسسة الفعلي للدولة الحفصية حيث امتدت ولايته لإفريقية من سنة(625هـ/1227م)[1] إلى ســـنة(647هـ/1249م)، واســـتطاع أن يشـــكل إمارة تونس وأعلن اســـتقلال إفريقية عن الدولة الموحدية، ثم زحف أبو زكرياء ســـنة 628هـ على المغرب الأوســـط واســـتولى على قســـنطينة وبجاية ثم مدينة الجزائر سنة(632هـ/1235م)، وفي سنة(634هـ/1237م) بويع البيعة الثانية، وأصبح يذكر اسمه في الخطبة[2].

وبعد وفاة أبي زكرياء تولى ابنه المســـتنصـــر الذي بويع ســـنة 647هـ، فدامت ولايته 28ســـنة وتولى زمام الحكم بعد وفاته ســـنة(675هـ/1277م) ابنه يحي الواثق غير أن أمره لم يستمر واستولى على الحكم بعده عمه أبا إسحاق إبراهيم سنة(678هـ/1279م)[3]، ثم تداول عدة أمراء على الدولة فكانوا ضـــعافا وبدأ نفوذ الأوروبيين يكبر بعدما اســـتعان بهم الأخوة الفرقاء المتنافسـون على العرش الحفصـي، وأصـبح الأوروبيون يتدخلون بشـكل مباشـر في الشـؤون الداخلية للدولة، وبعد أن ســيطروا على طرابلس تنبه ســلاطين بني حفص للخطر الأجنبي ما استدعى تدخل طرف الثالث وهم العثمانيون الأتراك(981هـ/1574م) ودخلوا في معارك طاحنة وانتهت بانتصار العثمانيين على الإسبان لتنتهي مرحلة من تاريخ المغرب الأدنى وسقوط الدولة الحفصية[4].

---

[1]– عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965، ص47.

[2]– ابن القنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص ص108–109.

[3]– نفسه، ص137.

[4]– مروة مهرية وعقيلة ولابي، المرجع السابق، ص ص15–16.

الفصل الثاني

عوامل ازدهار الحياة العلمية في المغرب الإسلامي

من خلال كتاب رحلة القلصادي

مراحل التعليم ومؤسساته

طـرق التعلـيم

روافد النشاط العلمي

كانت الأحوال السياسية والاجتماعية ببلاد المغرب الإسلامي في معظمها متميزة بالاضطرابات، بسبب الحروب المستمرة مع بعضها البعض، كما عرفت الدولة الزيانية حالات الفوضى بسبب تنافس أفرادها على العرش ، ورغم ذلك فقد كانت الحياة العلمية في تلمسان الزيانية نشيطة جدا، ويتضح ذلك من خلال انتشار المؤسسات التعليمة من مساجد ومدارس ومكتبات وغيرها، وظهور عدد كبير من العلماء والفقهاء بتلمسان على مدى ثلاثة قرون، نشروا فيها علومهم، بالإضافة إلى ظهور مؤلفات عديدة، وأصبحت تلمسان مركز إشعاع علمي تدرس فيه مختلف العلوم وحاضرة من حواضر بلاد المغرب يستشار علماؤها في كثير من الفتاوى والمسائل الفقهية.

أثنى المدجن الحاج عبد الله بن الصباح في رحلته التي قام بها في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري–الرابع عشر ميلادي على الأحوال الثقافية بتلمسان عندما قال: "مدينة تلمسان وهي كثيرة العلماء والقراء..."[1]، ويدعم هذا الرأي القلصادي صاحب الرحلة عندما تحدث عن تلمسان قائلاً:"...وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقية..."[2].

كما تحدث صاحب الروض المعطار عن الأحوال الثقافية بتلمسان بقوله: "ولم تزل تلمسان داراً للعلماء والمحدثين وأهل الرأي على مذهب مالك"[3]، وهو ما يدل على أن تلمسان كانت حاضرة علمية خلال العهد الزياني، الذي يعتبر رغم الوقائع الحربية المتعددة والفتن الداخلية المتوالية العصر الذهبي للمغرب الأوسط ففيه بلغت البلاد ذروة عزها وأوج مجدها ورقيها وازدهارها وذلك يرجع لعدة عوامل، منها تشجيع ملوك بني عبد الواد للعلم، وعوامل أخرى نتطرق لها في هذا

[1]– الحاج عبد الله بن الصباح الأندلسي المدجن، **نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار (رحلة حجازية)**، تحقيق جمعة شيخة، مجلة دراسات أندلسية، عدد 45–46، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2012، ص56.

[2]– القلصادي، المصدر السابق، ص95.

[3]– الحميري، المصدر السابق، ص135.

الفصل، وعلى غرار المغرب الأوسط كان نفس الأمر بالنسبة للمغرب الأدنى.[1]

[1]– الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، ص ص64–70.

المبحث الأول

مراحل التعليم ومؤسساته

مراحل التعليم

المؤسسات التعليمية

المطلب الأول: مراحل التعليم

ولقد مر التعليم منذ الفتح الإسلامي بمرحلتين بارزتين هما "الابتدائي والعالي"

1) المرحلة الابتدائية:

تعتبر هذه المرحلة هي المرحلة الأولى والأساسية للمتعلم في بلاد المغرب الإسلامي فيها يستعد الطالب أو المتعلم للمراحل القادمة الأخرى[1]، والغاية من التعليم الابتدائي هو حفظ القرآن الكريم، وكان يتم في الكتاتيب، حيث يلج إليها الطفل وعمره سبعة سنوات[2]، وكانوا يتبعون برنامجا إذ يفتتحون يومهم بحفظ القرآن منذ الصباح حتى وقت الضحى، ويتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر، وكانت حصة المساء مخصصة لتدريس المواد[3]، وكان على التلاميذ استظهار ما حفظوه أمام معلمهم في كل عشية يوم الأربعاء والخميس[4]، ونظرا لتعليمهم كانوا المتعلمين يتلقون أجرة على عملهم[5] ،كما اعتنى المؤدبون بتعليم أخلاق الديانة الإسلامية من الحياء والسخاء والتواضع وكانوا يلجؤون أحيانا إلى حكايات العباد والصالحين والعلماء لتحبيبهم عند الصبيان، كما كان يجوز لهم تنبيههم إلى كيفيات الوضوء والصلاة، وذلك بتعليمهم عدد ركعاتها وسجداتها والقراءة فيها والتكبير ووضعية الإحرام والسلام وكل ما يلزم في الصلاة والتشهد والدعاء[6].

ومما يلحظ على مناهج التعليم الابتدائي في الدولة الحفصية، إنها كانت تقوم على حفظ القرآن الكريم مع تعليم الحديث وأساسيات العلم، إلا أنه ارتكز على حفظ القرآن

---

[1]– محمد بن السلام ابن سحنون، **آداب المتعلمين**، تحقيق: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص80.

[2]– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج2، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص344.

[3]– لخضر عبدلي، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633–962هـ/1236–1554م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1425–1426/2004–2005، ص92.

[4]– محمد ابن سحنون، المصدر نفسه، ص8.

[5]– ابن عباد الرندي، **الرسائل الصغرى**، تحقيق: الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974، ص74.

[6]– نفسه، ص79.

باختلاف رواياته وقراءاته ثم الخط[1]، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في ذكره منهجية التعليم عند الحفصيين بقوله:"... وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن الكريم بالحديث في الغالب، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر من سواه ..."[2].

ويرى ابن خلدون أن تلقين العلوم لا يكون مفيدا إلا إذا كان بالتدرج ولذلك يجب أن يقسم برنامج التعليم إلى ثلاثة مراحل تتمثل فيما يلي:

– **الدور الأول:** تلقين أصول الفن مع مراعاة عقل التلميذ واستعداده فالطريقة المثلى في نظره هي أن تقيم وزنا لعقل التلميذ وقدرته واستساغة المبادئ التعليمية التي يراد تلقينها[3].

– **الدور الثاني:** الذي يتمثل في استئناف الطالب النظر في الفن نفسه ويستحسن أن يخرج بالتلميذ من الإجمال إلى التفصيل.

– **الدور الثالث:** يعود إلى الفن نفسه فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا مغلقا إلا وضحه وعندئذ لا يتخلص التلميذ من الفنون إلا وقد استولى على ملكته[4]، وبعد الانتهاء من هذه المرحلة يتم الانتقال إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة التعليم العالي.

2) مرحلة التعليم العالي:

اختلفت هذه المرحلة عن المرحلة السابقة تماما حيث كانت أكثر تطورا وشمولية، تتسم هذه المرحلة بحرية الطالب في اختيار المطلق للمواد وللأساتذة الذين سيتتلمذ عليهم في أية مادة من المواد التي يريدها[5]، وهذا يجعله غير مقيد بالمقررات الدراسية وكانت العلوم الدينية

---

[1]– مريم بوعامر، **الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن(7–9هـ/13–15م)**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،1430–1431هـ/2009–2010م، ص65.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص588–589.

[3]– نفسه، ص1042.

[4]– نفسه، ص1042.

[5]– نفسه، ص590؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص344.

والاجتماعية والعقلية والأدبية تدرس بعمق وتفصيل[1]، حيث أن هذه المرحلة كانت تعلم الطالب ما لم يتعلمه أو يشهده أو يسمع به من قبل.

وقد شهدت طريقة التعليم العالي تقدما عبر العصور إذ أنها قديما كانت تعتمد على طريقة النقل المتمثلة في النقل الشفهي للنصوص عن طريق السرد من طرف الشيخ أمام تلاميذه[2]، ثم بعد ذلك شهد القرن الرابع للهجرة طريقة الإلقاء وتتمثل في إلقاء الشيخ بعض الأسئلة على التلاميذ ومناقشة المواضيع المطروحة في آن واحد من طرف التلاميذ وشيوخهم[3]، ومن منتصف القرن السابع الهجري طرأت تطورات على طرق التعليم العالي خاصة في زمن عبد الله شعيب[4]، حيث زاد في تطوير طريقة عبد الله شعيب القاضي عبد السلام، والتي تقوم على البحث والتحليل واعطاء التفكير أهمية كبيرة دون جعل التعليم يقتصر على الحفظ وقد اقتصرت هذه الطريقة على بعض المدارس الحفصية، إلى جانب ذلك انتشرت طريقة أخرى للتعليم وهي ناصر الدين المشدالي[5]، ذات الفعالية في التدريس والبحث، حيث أكد ابن خلدون أن هذه الطريقة اعتمدت للتدريس بتلمسان بقدوم الفقيهين ابني الإمام والفقيه أبي موسى عمران المشذالي، لاتصال سند تعليمهم بعلماء المشرق وعلماء تونس[6].

---

[1]– عبد الحميد بالأعرج، **علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين(7-9هـ/13-15م)**، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1433-1434هـ/2012-2013م، ص162.

[2]– مريم بوعامر، المرجع السابق، ص66.

[3]– روبار برنشفيك، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى القرن 15**، ج2، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص397.

[4]– عبد الله شعيب :الفقيه الإمام العامل الجليل الفاضل المجتهد العابد، له التفنن في العلوم عالم بالأصلين والفقه والتصوف محصل لمذهب مالك كما يجب، أصله من هسكورة من المغرب وقرأ بالمغرب ثم انتقل إلى المشرق .ينظر : الغبريني، **الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية، الجزائر،1981، ص173.

[5]– ناصر الدين المشدالي :رحل إلى المشرق ولقي أفاضل منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيرهم، قرأ وحصل العلم بالفقه وأصول الفقه وأصول الدين وهو كثير البحث، ومحبته في البحث أكثر من محبته في النقل وهو من أهل الفتيا والشورى .ينظر: الغبريني، المصدر نفسه، ص200.

[6]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص320.

ولعل أفضل طريقة للتعليم حسب ابن خلدون هي التي تستوجب تدرج على مراحل توخيا للعمق والإتقان، فيشرع الأستاذ في إلقاء الخطوط العامة المراد تعليمها فصلا فصلا، ثم يشرع في شرحها مع مراعاة الاستعدادات الفكرية للمتعلم، لكن تتكون لديه ملكة مبدئية حول ذلك العلم ثم يعود الأستاذ ويتناوله بعمق، فيشرع في التعليق والشرح والمقارنة بين الاختلافات في كل الآراء الواردة، فيلم الطالب بالجمل والمنهل المختلة حوله فتتكون لديه القدرة على المناقشة والتحليل، ثم يعود الأستاذ ثالثة فيتأكد مما تعلمه طلبته ويتفقد أي غموض ويزيله للتوضيح[1]، حيث كان الطلاب يخترون المادة التي توفر لهم العمل، فكان أغلبهم يتجهون لدراسة الفقه لأن الفقهاء يحثون على دراسته، حيث هناك بعض الأقوال المأثورة والأبيات الشعرية في مدح الفقه يقول الونشريسي:" من لا يعرف الفقه لا يعرف غيره[2].

أما دراسة علم الحديث فإنها تستغرق عدة سنوات إذا ما قورنت بالمدة التي تستغرقها دراسة الفقه، كما أنه يتطلب الدراية بالنحو واللغة، وعلم الأصول في الفقه وعلم الكلام.

المطلب الثاني: المؤسسات التعليمية

استمدت المؤسسات الثقافية في المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا مقوماتها وأصولها من المشرق الإسلامي بدأ من الفتح الإسلامي حيث حرص المسلمون على طلب العلم ولا بد للعالم والمتعلم من مكان يدرس فيه فوجدت وتعددت هذه المؤسسات التعليمية، وعرفت تلمسان انتشارا واسعا للمؤسسات التعليمية والدينية التي ظلت طيلة هذه الفترة تؤدي دورا بارزا في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية بالمغرب الأوسط، ولقد حظيت برعاية السلاطين ودعمهم بإنشاء هذه المؤسسات فكانوا يسهرون شخصيا على أعمال إنشائها وتدشينها وتعيين طاقم تدريسها ومن بين هذه المؤسسات نذكر:

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص583.

[2]– أبي العباس احمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتأوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، مج8، تحقيق: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، 1981م، ص20.

1) المساجد:

تعتبر المساجد أقدم المؤسسات التعليمية في الإسلام فهي النواة الأولى للتعليم في الحضارات العربية الإسلامية فالتعليم يرتبط به ارتباطا وثيقا قبل تأسيس المدرسة ولا سيما أن االله عز وجل شرف من بناها بأن له الثناء العظيم بقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18)﴾[1].

يعد اهتمام السلطة الزيانية بالتعليم ومؤسساته من أهم الأمور التي توارثها سلاطين البيت الزياني[2]، حيث كانت المساجد أحد المرتكزات التي يقوم عليها التعليم، فأولتها السلطة الزيانية منذ اعتلائها الحكم جانبا من الاهتمام عن طريق تجديد العمران الديني والتعليمي الموروث، إضافة إلى بناء مراكز جديدة، كما كانت المساجد أيضا عبارة عن مراكز للحكم والإدارة والدعوة والتشاور محلا للقضاء والإفتاء والعلم والإعلان وغير ذلك من أمور الدين والدولة، وكان دورها عظيم وكبير في نشر السنة وإشاعتها وتركيز الدراسات الحديثة وتأصيلها وتكوين الأجيال المتلاحقة من علماء الحديث وشيوخه[3].

وأكد ابن خلدون على دور وأهمية هذه المؤسسة التعليمية بقوله:" أعلم أن الله سبحانه وتعالى فضل من الأرض بقاعا واختصها بتشريعه وجعلها موطنا للعبادة تنمو فيها الأجور وأخبرنا بذلك على ألسنة رسله وأنبيائه لطفا بعباده وتسهيلا لطرق العبادة لهم، وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الأرض وهي مكة والمدينة وبيت المقدس"[4]، وهناك بعض المساجد التي كانت تطرح فيها مواضيع التي وقع فيها اختلاف عن شيء ما والتي كانت

---

[1]– سورة التوبة، الآية18.

[2]– عبد الحميد حاجيات، **تلمسان مركز الاشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**، مجلة في الحضارة الإسلامية، عدد خاص بالمراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، وهران، ص319.

[3]– الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص107.

[4]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص18.

تتميز بالنظام التعليمي الخاص بها وكان يطلق الحكم النهائي فيها من قبل القاضي الخاص بتلك المنطقة وكانت مخصصة لتعليم الكبار وجالسة العلماء مثل المسجد الأعظم[1].

ولقد انقسمت المساجد إلى قسمين أولها مساجد الأحياء والمدن ويتكفلون بها الرعية من إنفاق وتسيير والإشراف على التدريس وثانيا المساجد الكبيرة التي تشرف الدولة على رعايتها والنظر في تعيين أئمتها ويتطلب التدريس بها الحصول على الإذن من السلطان[2].

وبهذا أصبحت المساجد مجمعا عاما للناس تقام فيه حلقات العلم وذلك منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام واستمرت لقرون إلى يومنا هذا فانتشرت وتعددت خاصة في حاضرة تلمسان خلال العهد الزياني، حيث كانت تزيد عن الستين مسجدا[3]، وهذا الكم الهائل ذكرته المصادر القديمة والمراجع الحديثة، اندثر منها الكثير بسبب الحروب والكوارث الطبيعية أو بسبب التوسعات العمرانية، لكن البعض منها لايزال قائما الى يومنا هذا.

أبرز القلصادي في رحلته عددا من المساجد نذكر من بينها المسجد الأعظم، الذي شيد بتاجراره في عهد المرابطين من قبل يوسف بن تاشفين (453هـ-500هـ) سنة(473هـ/1080م)[4]، وأعاد بناؤه ابنه علي سنة(530هـ/1135م) وأدخل عليه المعماريون مسحة فنية أندلسية من زخارف و نقوش جلبت انتباه الرحالة والجغرافيين، منهم العبدري عندما وصف هذا الجامع قائلا: "ولها جامع عجيب مليح متسع"[5]، ومازدا من قيمته خزانة الكتب التي اضافها له السلطان ابو حمو موسى الثاني سنة (760هـ/1360م)[6].

---

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، مج8، ص36.

[2]- الحسن أسكان، **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط(1-9هـ)**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2004، ص77.

[3]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص91.

[4]- نفسه، ص93.

[5]- القلصادي، المصدر السابق، ص105.

[6]- رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص93.

شهد الجامع الأعظم بتلمسان مراسيم تشييع جنازة علماء من تلمسان، منهم محمد بن مرزوق الذي قال عنه القلصادي في رحلته:" تتوفي رضي الله عنه، وذلك يوم الخميس عند العصر رابع عشر من شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة هجرية =30جانفي 1439م، وصلي عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة، ودفن بالروضة المعروفة هناك بغربي المسجد..."[1].

ومن المساجد التي ذكرها القلصادي مسجد سيدي الحلوي، تم تأسيس هذا المسجد بأمر من السلطان أبي عنان المريني سنة (754هـ/1353م)، وقد شيد تخليدا لذكرى وفاة العالم الشهير الولي الصالح أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي[2] نزيل تلمسان المتوفى سنة(737هـ/ 1337م)[3]، ومازال هذا المسجد قائما وهو كثير الشبه بمسجد ابي مدين من حيث الهندسة والزخرفة[4]، وصفه ابن الحاج النميري كاتب السلطان أبي عنان فارس قائلا : "وكم أبقى (يقصد أبي عنان) بتلمسان من آثار حسان ومصانع يعجز عن وصفها كل لسان. ولا كجامع الخطبة الاعظم الذي امر باختطاطه في حضيض البيت الذي فيه ضريح الشيخ الصالح ابي عبد الله الشودي المعروف بالحلوي رضي الله عنه وهو من أجمل الجوامع"[5].

ذكر القلصادي في رحلته مسجد الخراطين وإمامه محمد الشريف قائلا: "...سيدي أبو عبد الله محمد الشريف إمام مسجد الخراطين..."[6]، وغير أنه لم يذكر مساجد أخرى في تلمسان كان لها دور في النهضة العلمية منها مسجد أبي الحسن بالقرب من المسجد الأعظم، والذي قام

---

[1]– القلصادي، المصدر السابق، ص97.

[2]– سيدي الحلوي :هو أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي (ت737هـ/1337م)، كان قاضيا في إشبيليا، وهو نزيل تلمسان، ومن كبار العارفين بها، سمي بالحلوي لأنه كان يصنع الحلوى ويبيعها وقيل هي هبة من الله .ينظر :يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص127–128؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص68–70.

[3]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص96.

[4]– نفسه، ص96.

[5]– ابن الحاج النميري، **فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، تحقيق: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص488.

[6]– القلصادي، المصدر نفسه، ص99.

بتأسيسه أبوسعيد عثمان بن يغمراسن سنة(696هـ/1296م)[1]، ومسجد أولاد الإمام الذي أنشأه السلطان أبو حمو موسى الأول سنة(710هـ/1310م)، ومسجد إبراهيم المصمودي الذي قلم بتأسيسه أبو حمو موسى الثاني، ومسجد أبي مدين الذي أمر ببنائه السلطان أبو الحسن المريني سنة(739هـ/1339م)[2].

ولم يستثني القلصادي في رحلته مساجد تلمسان بل ذكر الجامع الأعظم بوهران حيث قال: "فمنهم الشيخ المتبرك به مقام الوالد إمام الجامع الأعظم سيدي أبو عثمان سعد الشلوني رحمة الله عليه..."[3]، كما ذكر المسجد الأعظم بتونس في قوله: "...إلى أن خصه الله في آخر عمره (يقصد محمد بن عقاب) بإمامة المسجد الأعظم جامع الزيتونة..."[4].

وفي الأخير فإن المساجد عبارة عن معاهد علم قائمة بذاتها باقية على عادتها تقوم برسالتها التقليدية فامتلأت بالطلاب والعلماء والفقهاء يدرسون العلم ويقصدون الناس للشورى وقراءة القرآن كما قصدها أيضا الصلحاء والعباد وقاموا بدورهم في تقديم الفتوى والعلم للناس.

2) المدارس:

لم تعرف المدرسة باسمها هذا بالمغرب والأندلس حتى نهاية عصر الموحدين، إذ نقل المرينيون الذين تولوا الحكم بعد الموحدين النظام المدرسي إلى المغرب عن الأيوبيين بمصر في النصف الثاني من القرن السابع الهجري[5]، فالمدارس هي تلك الأماكن أو الدور أو المباني المنظمة التي يقصدها طلاب العلم، ويتولى التدريس فيها معلمون وأساتذة وعلماء، والمدرسة بناء يشبه المسجد الجامع والربط، وهي لفظ يعني بناية مخصصة للدراسة متميزة بشكلها المعماري.

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص146.

[2]– نفسه، ج1، ص147.

[3]– القلصادي، المصدر السابق، ص111.

[4]– نفسه، ص121.

[5]– عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص325.

أعجب الرحالة المغاربة والأندلسيين بكثرة المدارس في تلمسان، فمنهم المدجن الحاج عبد الله بن الصباح حين قال:"فيها (تلمسان) المدارس الكثيرة وطلب العلم والقراءة..."[1]، وكانت مدارس تلمسان مليئة بالعلماء وهذا ما أكده القلصادي أيضا في رحلته عندما قال: "وأدركت فيها(تلمسان)كثيرا من العلماء..."[2]، وقد كان لسلاطين بني زيان جهود كبيرة من وراء نشر التعليم والثقافة بتلمسان تمثلت في بناء المؤسسات التعليمية، منها المدارس والعناية بها والتكفل بنفقات التعليم و مستلزماته مثل التكفل بأجرة المعلمين وتخفيف نفقات الدراسة عن المتعلمين من إيواء وإطعام وعبر عنها المدجن الحاج عبد الله بن الصباح في رحلته قائلاً: "...فيها الإطعام من الحلال الموقوف من أوقاف الصالحين و هناك جملة مدارس ولكن نذكر ذلك على وجه الاختصار"[3].

وعن مدارس تلمسان الزيانية يقول الحسن الوزان: "وخمس مدارس حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية، شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس"[4] و"تتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفية منتظمة"[5] وكانت المدارس التلمسانية في أغلب الأحيان ملحقة بالمساجد، ومن أشهر المدارس بتلمسان والتي ذكرها القلصادي في رحلته، المدرسة اليعقوبية التي شيدها أبو حمو موسى الثاني (ت791هـ/1388م)[6] بجوار مسجد إبراهيم

---

[1]– الحاج عبد الله بن الصباح المدجن، المرجع السابق، ص56.

[2]– القلصادي، المصدر السابق، ص100.

[3]– المدجن، المرجع نفسه، ص56.

[4]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص19.

[5]– نفسه، ج2، ص21.

[6]– أبو حمو موسى الثاني: هو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب، وينتهي نسبه إلى يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية، ولد سنة 723 للهجرة في غرناطة، ثم ارتحل إلى تلمسان صحبة والده وواصل تحصيل العلم فيها، وحرر تلمسان من سيطرة المرينيين، وبذلك أحيا مجد الدولة الزيانية من جديد سنة 760 للهجرة. وقد ازدهرت الدولة الزيانية في عهده في جميع المجالات، وكانت وفاته سنة 790 للهجرة. أنظر: مها عيساوي، **أبو حمو موسى الزياني (السلطان والأديب)**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة، الجزائر، العدد12، ص ص144-160.

المصمودي، تخليدا لذكرى والده أبو يعقوب يوسف (ت763هـ/1362م)[1]، استغرق بناؤها حوالي سنة ونصف، بحيث انتهى من إنجازها سنة(765هـ/1364م)[2]، ويقول عنها صاحب زهر البستان: "أمر أن يشرع بإزاء روضته مدرسة لقراءة القرآن والعلوم، وأن ينفق فيها من الحلال المعلوم، فأقيمت مدرسة مليحة البناء واسعة الفناء، بنيت بضروب من الصناعات ووضعت في أبدع الموضوعات،..."[3]، كما ذكرها القلصادي في حديثه عن شيخه أحمد بن زاغو قائلا: "ولازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية..."[4].

ومما يدعو للدهشة أن القلصادي قد أغفل ذكر المدارس الأخرى التي كان لها دور بارز في الحركة العلمية بتلمسان، وهي مدرسة ابنا الإمام التي أمر ببنائها السلطان أبو حمو موسى الأول[5]، والمدرسة التاشفينية التي شيدها أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول[6]، ومدرسة أبي مدين بالعباد التي شيدها أبو الحسن المريني[7]، ومدرسة سيدي الحلوي التي بناها السلطان أبي عنان المريني وقت استيلائه على تلمسان والمغرب الأوسط سنة (754هـ/1454م)[8] ، وقامت المدارس الزيانية بتدريس كتب الأصول، أصول الدين وأصول الفقه بالإضافة إلى كتب الفقه المالكي[9].

ذكر القلصادي في رحلته مدارس بتونس منها المدرسة الجديدة، التي نزل بها القلصادي

---

[1]– عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى الزياني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص182.

[2]– يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج 2، تحقيق: بوزياني الدراجي، دار الأهل للدارسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص136.

[3]– مؤلف مجهول، **السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان (760-764هـ/1359-1363م)**، تحقيق: محمد بن أحمد باغلي، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012، ص ص211-212.

[4]– القلصادي، المصدر السابق، ص104.

[5]– التنسي، المصدر السابق، ص149.

[6]– نفسه، ص151.

[7]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص143.

[8]– نفسه، ص144.

[9]– القلصادي، المصدر نفسه، ص104.

عند وصوله الى تونس، وهذه المدرسة هي التي بناها أبو عمرو عثمان سنة 840هـ، قرب الولي الصالح محرز بن خلف[1] وكانت تحتها زاوية، وكان بها مسجد ورباط لسكنى الطلبة وفرغ من بنائها سنة 844هـ[2]، حيث أقام بها القلصادي حولا كاملا في طريق الذهاب، كما ذكر المدرسة المنتصرية في رحلته قائلا: "...ثم انتقلت إلى المدرسة المنتصرية، فأقمت بها أيضا سنة ونصفا، ..."[3]، ولم تخلوا طرابلس من المدارس كغيرها من المناطق الأخرى حيث أكد القلصادي على وجودها عند إقامته بطرابلس قائلا: "... وتلاقينا مع بعض الأصدقاء والأصحاب، وحبونا بالبر والإكرام، وأقمنا بمدرسة ابن ثابت عدة ليال وأيام"[4].

وختاما تعد المدارس من أهم الانجازات الإسلامية، بفضلها اكتست العديد من مدن المغرب الاسلامي ثوب الحضارة، من خلال استقطابها لعدد كبير من العلماء وطلبة العلم، الذين برزوا في مختلف العلوم والفنون، فكان لهم الدور الكبير في تطوير هذه العلوم وترقية الحياة الفكرية خلال هذه الفترة.

3) الكتاتيب:

لقد عرفت مؤسسات أخرى لا تقل أهمية عن المساجد ومنها الكتاتيب وهو مخصص للصبيان يدرسون فيها القرآن وأحكامه وتفاسيره، حيث أنها كانت موجودة منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وكانت منتشرة بالمدن والقرى وهي عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد مفروشة بحصير يجلس عليه الصبية متربعين حول المعلم أو الشيخ[5]، وإذا لم تنشأ قرب المساجد كان المعلمون يقومون باستئجار بيوت تتخذ مكانا للتعليم، أو تبنى من قبل جماعة

---

[1]– محرز بن خلف: هو محرز بن خلف بن رزين البكري(340-413هـ/951-1022م) من نسل أبي بكر الصديق، مؤدب تونسي ومن كبار الزهاد، تهافت الناس عليه لتبرك به وسماع كلامه، كان يقرئ القرآن والحديث والفقه. أنظر: الزركلي، المصدر السابق، ج5، ص284.

[2]– القلصادي، المصدر السابق، ص112.

[3]– نفسه، ص115.

[4]– نفسه، ص124.

[5]– محمد ابن سحنون، المصدر السابق، ص44.

من أولياء التلاميذ الميسورين، واذا استأجر المعلم المحل فعلى أولياء التلاميذ دفع تكاليف الكراء[1]، ومن الأدوات التي كان يستعملها الصبيان للكتابة لوح خشبي مصقول وقلم من القصب واناء للمحو، ونظرا للأهمية التي حضيت بها الكتاتيب جعلت أهل المغرب يجتمعون في انتخاب معلم لتعليم أبناءهم ويجب أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط تؤهله لمباشرة تلك المهنة، اشترطها فيه علماء التربية والفقهاء وقد اجملت في ما يلي: "فينبغي حسن سلوكه وعقله وتدينه وعلمه، وحسن عقيدته وعلى الآباء الفحص عنها قبل البحث عن دينه في الفروع"[2].

وقد ذكر لنا أيضا ابن سحنون شروطا لخصها لنا في كتابه آداب المعلمين: "ينبغي أن يكون معلما مهيبا لا في عنف ولا يكون عبوسا مغضبا ولا مبسطا مرفقا بالصبيان دون لين، ينبغي أن يخلص أدب الصبيان لمنفعتهم"[3]، رغم بساطة الكتاتيب من حيث البناء والتجهيزات إلا أنها عرفت مستوى رفيعا من التنظيم، فكانت تسند مهمة التدريس بها لقراء كبار مقابل أجرة معينة رفضها البعض واكتفى البعض الآخر بأخذها من الأولياء الميسورين الحال[4]، على أن تمنح إما نقدية أو عينية مثل: (زيوت، شمع، حبوب، بقول، فواكه...)، بواسطة عقد بين المعلم والأولياء يحدد فيه شروط وكيفية دفعها إما فرديا أو جماعيا عبر مدار شهر أو سنة بحفظ جزء معين من القرآن أو مبادئ مادة معينة[5]، إضافة إلى ذلك سمح للبنات بالتعلم بالكتاتيب وأخذ شيء من القرآن والأحاديث النبوية وذلك في المغرب الإسلامي لكن نصيبهم في التعليم كان محدود مقارنة بالذكور[6].

تميزت طريقة التعليم بالكتاتيب في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة بالإلقاء والحفظ،

---

[1]- مريم بوعامر، المرجع السابق، ص69.

[2]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص79.

[3]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص47.

[4]- الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص ص236-237.

[5]- ابن سحنون، المصدر نفسه، ص94.

[6]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص355.

فقد انتقد ابن خلدون هذه الطريقة لأنها تقوم على الحفظ دون الفهم حيث قال:" ويا غفلة أهل بلادنا في أن يأخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر غيره وأهم عليه منه"[1]، وكما ذكرنا سابقا عن أدوات الكتاب حيث يأخذ التلميذ لوحته الخشبية إذ يخصص الوجه الأول من اللوحة لدرس الأمس والوجه الثاني لدرس اليوم، ويوجد أوقات للدراسة، ففي الصباح يبدؤون بحفظ القرآن حتى الضحى ثم يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر ويخصص المساء لبقية المواد كالنحو والحساب والعربية، كما خصصوا أيام معينة كيوم الأربعاء مساءا والخميس لتفقد حفظهم هذا إضافة إلى تعليمهم أمور العبادة مثل كيفية الوضوء والصلاة والتشديد عليهم من أجل استيعابها .

والكتاب كمؤسسة أولى تربوية أدت دورها في التربية والتعليم في جميع العصور حيث تنتهي هذه المرحلة بالختم وتعني إتمام التلميذ حفظ القرآن الكريم كاملا، وعندها يختار بين مواصلة طلب العلم في المساجد أو المدارس أو التوجه إلى الحياة العملية[2].

4) الزوايا:

تعتبر الزوايا من أهم المراكز والمؤسسات التعليمية الهامة في المغرب الإسلامي، والتي ساهمت بنشر الثقافة الدينية لدى المجتمع المغربي وخاصة البدائي، وهي عبارة عن بناء صغير يشبه المسجد حيث سميت في بادئ الأمر بدار الكرامة[3]، لأن أول من فكر ببنائها هم المتصوفة الذين اختاروا الانزواء والابتعاد عن سخط العمران والضجيج، وأيضا رجال الخير وكبار الدولة وذلك من أموالهم الخاصة[4]، وتعتبر مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة[5]، فساهم ذلك في انتشارها في مختلف نواحي بلاد المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة، عبر مدنه وأريافه، إما

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص742.

[2]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص84.

[3]– المهدي البوعبدلي، **الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى**، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد13، 1973، ص26.

[4]– خالد بلعربي، المرجع السابق، ص227.

[5]– المهدي البوعبدلي، المرجع نفسه، ص26.

بمبادرة رسمية أو شعبية، وعلى هذا الأساس وجدت الزاوية الرسمية التي تم إنشاء من طرف السلطة، ويبدو أن انتشارها كان في الغالب موازيا لانتشار المدارس الرسمية، لذا اقترنت بالمدن خاصة، والزاوية الشعبية كثيرة الانتشار سواء بالمدن أو الأرياف، يؤسسها عادة زعماء التصوف، تعلم الصبيان والمريدين (الفقراء) أمور دينهم وتحفظهم القرآن الكريم[1].

فأصبحت بذلك الزوايا قطبا يقصده المتصوفة وعملت على نشر وترسيخ الفكر الصوفي، كما لعبت الزوايا دورا هاما وفعالا في التوعية الدينية والفكرية، إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم ونشره حيث أصبح يقصدها العلماء للتدريس، وتأليف الكتب والرسائل القيمة في مختلف العلوم والمعارف[2]، ومن الزوايا التي عرفها المغرب الإسلامي زوايا حاضرة تلمسان التي تعددت خلال هذه الفترة في حين لم يذكر القلصادي أي واحدة منها ومن بين هذه الزوايا نجد، زاوية الأمير يعقوب التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة(765هـ/1364م)[3]، وزاوية سيدي الحلوي التي أنشأها أبو عنان فارس المريني سنة(754هـ/1353م)[4]، وزاوية أبو عبد الله بن أبو بكر بن مرزوق (ت681هـ)[5]، وزاوية الإمام محمد السنوسي(ت895هـ)[6].

لم يذكر القلصادي أي زاوية بوهران رغم انتشارها وحصول معظمها على شعبية كبيرة إضافة إلى لقائه مع الأحباب، ومن أهم هذه الزوايا نجد زاوية محمد بن عمر الهواري المتوفي سنة (843هـ/1439م)[7]، ومن تلاميذه إبراهيم التازي الذي ذكره القلصادي في رحلته قائلا: "ومنهم الشيخ المتبرك به سيدي إبراهيم التازي رحة الله عليه خليفة سيدي محمد الهواري في

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص350–351.
[2]– نفسه، ج1، ص148.
[3]– التنسي، المصدر السابق، ص ص179–180.
[4]– عبد الحميد حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص65.
[5]– خالد بلعربي، المرجع السابق، ص227.
[6]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص159.
[7]– نفسه، ص164.

وقته، ..."[1]، ومن أقدم الزوايا بتونس زاوية محرز بن خلف قرب المدرسة الجديدة التي نزل بها القلصادي[2].

[1]– القلصادي، المصدر السابق، ص110.

[2]– نفسه، ص112.

المبحث الثاني

طرق التعليم

السماع أو الاملاء

القراءة

المناظرة والحوار

عرفت طرق القاء الدرس في المؤسسات التعليمية بالمغرب الاسلامي تباينا من مرحلة إلى أخرى ومن عالم إلى آخر، ويمكن أن نلخص هذه الطرق السائدة خلال الفترة التي نحن بصدد تسليط الضوء عليها إلى ثلاث طرق.

المطلب الأول: السماع أو الإملاء[1]

سادت هذه الطريقة في الكتاب حيث أن معلم الصبيان يجلس في وسط حلقتهم ويملي عليهم شيئا من القرآن الكريم، وهم يكتبون على لوح خشبي مصقول بواسطة الدواة والقلم دون نقاش أو تحليل أو اعتراض[2]، ثم يقوم بتحفيظهم سورا من القرآن، وعند إكمال حفظ السورة يمتحن الصبي فيما هو معروف لحد الآن بالختمة، وهذه الطريقة تجعل الطالب وعاء يملأه الأستاذ بالمعلومات المختلفة دون أن تكون له فرصة لمراجعة الأستاذ أو النقاش أو طرح الأسئلة، وبعدها يخير الصبي إما بمواصلة طلب العلم أو الانقطاع عنه[3].

المطلب الثاني: القراءة[4]

حيث يقوم أحد الطلبة بقراءة نص من كتاب مشهور في المادة المدروسة، فقد كان لكل مدرس مسمع يقرأ له النص أو جزء من الكتاب المدروس[5]، ويقوم الأستاذ بشرحها فقرة فقرة حسب حفظه وسعة اطلاعه، والطلبة يدونون في كراريسهم وممن درس بهذه الطريقة محمد بن مرزوق الخطيب[6]، كما تعد هذه الطريقة من أشهر طرق التعليم في هذا العصر سواء كان الطالب هو القارئ أو قراءة غيره، حيث اتبع البعض من علماء تلمسان هذه الطريقة كما ذكر

---

[1]– السماع أو الإملاء :هو أرفع أنواع الرواية عند المحدثين. ينظر: القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تح: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ص69.

[2]– عبد الحميد حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص160.

[3]– التنسي، المصدر السابق، ص138.

[4]– القراءة :وهي أن يقرأ الطالب بصوت مرتفع في كتاب أو من حفظه، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه .ينظر: القاضي عياض، المصدر نفسه، ص71.

[5]– الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص97.

[6]– عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص134.

القلصادي في كتابه تمهيد الطالب ومن بينهم، الشيخ محمد بن مرزوق(766هـ-842هـ) الذي قرأ عليه القلصادي بعض من كتابه في الفرائض وشيئا من شرح التسهيل لابن مالك، كما حضر له عن قراءة غيره صحيح البخاري وأغلب التسهيل لابن مالك والمناهج للغزالي[1]، وقرأ القلصادي على الشيخ أبو مهدي عيسى الرتيمي الشهير بأم الزيان كتاب الحوفي من مواضع مختلفة[2]، كما قرأ القلصادي على الشيخ محمد الشريف ويوسف الزيدوري(ت845هـ)[3] الذي قرأ عليه تلخيص البناء أكثر من مرة، وشيء من الأصول والمقدمات في الجبر، وحضر عليه التلمسانية[4]، أي أن القلصادي قرأ على الكثير من علماء تلمسان وهذا راجع إلى ذكائه وفطنته، ولم يقتصر القلصادي على علماء تلمسان بل قرأ أيضا على علماء تونس منهم الشيخ أحمد القلشاني(ت863هـ) ، وأبو العباس أحمد المنستيري ومحمد الدهان وغيرهم[5].

المطلب الثالث: المناظرة والحوار

وهي أيسر طرق التعليم استحدثت بالمغرب الأوسط أواخر القرن (7هـ/13م) بواسطة ابني الإمام، وأبو موسى عمران المشذالي[6] بعد عودتهم من إفريقية[7]، تعتمد على الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتعليل والتفكير والحفظ، واستغلال الجدل في البحث والمناظرة في جميع المسائل العلمية[8]، يكون فيها الطالب أكثر حيوية وديناميكية، ويقوم بدور محوري في

---

[1]- القلصادي، المصدر نفسه، ص97.

[2]- نفسه، ص99.

[3]- يوسف الزيدوري: أبو الحاج يوسف بن إسماعيل الشهير بالزيدوري، كانت له مشاركة وقدم في علوم الرياضيات توفي في الوباء سنة(845هـ/1441م). ينظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص100.

[4]- القلصادي، المصدر نفسه، ص101.

[5]- نفسه، ص ص116-117.

[6] أبو موسى عمران المشذالي: هو أبو موسى عمران بن موسى المشذالي البجائي الأصل نزيل تلمسان ولد سنة 670هـ، كان فقيها حافظا علامة محققا كبيرا أخذ عنه العلامة المقرئ، درس بتلمسان الحديث والفقه والفرائض والمنطق والجدل توفي سنة 745هـ. أنظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص350.

[7]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص467-468.

[8]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص137.

الوصول إلى المعلومات عن طريق طرح الأسئلة، والاستفسارات والمناظرات...، وعلى الأستاذ إدارة هذه المناقشات وتوجيه طلبته[1]، ميزها التعاون العلمي بين الطلاب والأساتذة واشتراكهم في حل المسائل العلمية[2]، فقد كان الآبلي إذا ما أشكلت عليه مسألة أو ظهر بحث دقيق يقول لطلبته انتظروا أبا عبد الله الشريف، رغبة منه في خلق جو من التنافس والتعاون العلميين بين الطلاب[3].

وذكر ابن خلدون "أن تلقين العلوم يكون على سبيل التدرج، فيلقي عليه المسائل في ذلك الباب ويقرب لها شرحها على سبيل الإجمال ثم يرقى التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هناك من خلاف إلى أن ينتهي إلى الأخر فتجرد ملكته"[4].

استحسنها عبد الرحمن ابن خلدون وفضلها على الطريقة المستعملة بفاس[5]، حيث أعطت هذه الطريقة ثمارا ايجابية وأحدثت فعالية في فن التدريس كما حفزت الطالب من جهة ودفعته إلى المذاكرة والمناظرة، ومن جهة أخرى دفعت الأساتذة إلى الاجتهاد والمطالعة والاشتغال بالتأليف، فنشطت بفضلها الأبحاث الفقهية النظرية والدراسات العقلية المنطقية، وبالتالي ازدهار الحركة التعليمية[6]، فكان أثرها محمود في تكوين أجيال صالحة من كبار العلماء الذين ساهموا مساهمة فعالة في تقدم الحركة الفكرية بالمغرب الاسلامي خلال هذه الفترة[7].

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر نفسه، ص450.

[2]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص353.

[3]– ابن مريم، المصدر السابق، ص170.

[4]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر نفسه، ص431.

[5]– نفسه، ص468.

[6]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص137.

[7]– نفسه، ص137.

المبحث الثالث

روافد النشاط العلمي

الرحلة العلمية

المجالس العلمية

الإجازات العلمية

المطلب الأول: الرحلة العلمية

لقد ارتبطت حياة الإنسان ارتباطا وثيقا بالتنقل الدائم والسعي في أرجاء الأرض طلبا للرزق ثم طلبا للمعرفة، فأصبحت عادة الترحال عادة متأصلة فيه حتى قيل فيه "ولد الإنسان راحلا"[1]، والعرب كغيرهم من الأمم عرفوا الرحلات قبل مجيء الإسلام وكانت لديهم رحلتا الشتاء والصيف ورد ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ(2)﴾[2]، بهدف التجارة وهذا نوع من أنواع الرحلات التي تعددت أوجهها بتنوع دوافعها لكن المقصد العلمي كان أقواها وأشملها[3].

تعد الرحلة العلمية مصدرا مهما في التاريخ الإسلامي، لما تشتمل عليه من فوائد في مختلف المجالات وشتى العلوم العقلية والنقلية، ومن أخبارها تسمع ما يشرب العقول والأذهان[4]، لذا تعتبر من أهم سمات وخصوصيات الثقافة الإسلامية، ومظهرا من مظاهر الحركة العلمية، ومهما اختلفت بواعثها وتنوعت دوافعها فإن المقصد العلمي كان أقواها وأشملها[5]، امتثالا لما حث عليه الإسلام لطلب العلم وتحصيله وشرف صاحبه، حيث ورد ذكره في القرآن الكريم في مناسبات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ(122)﴾[6]، كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة حيث قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ»[7]، «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي

---

[1]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص38.

[2]– سورة قريش (الآية 1–2).

[3]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص328.

[4]– رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص39.

[5]– عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص328.

[6]– سورة التوبة، الآية 122.

[7]– الترمذي، **الجامع الكبير**، ج3، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996، ص385.

سَبِيلِ اللهِ حَتَى يَرْجِع»[1] ، مدعما بالحج الذي شكل المحرك الأساسي لها، حيث كان فرصة ذهبية للقاء العلماء من كل صوب وحدب على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم[2].

وقد عقد ابن خلدون فصـــلا كاملا في مقدمته يبين فيها أهمية الرحلة العلمية في تكوين طالب العلم، لذا كان التجوال في سبيل الدراسة والعلم أمرا شائعا بين طلاب العلم في المغرب الإسلامي[3]، فشد لفيف منهم الرحال متحملين عناء السفر ومشقاته، قاصدين منابعه الأصلية تحدوهم الرغبة في الارتواء من مشـــيختها والاســـتفادة منهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبغداد ودمشق والقاهرة ...[4]، لرقيها العلمي وازدهارها الحضاري وعن ذلك يقول عبد الرحمن بن خلدون: "فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم وفي سائر الصنائع، حتى إنه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشـــرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من أهل المغرب، وأنهم أشد نباهة وأعظم كيسا"[5].

كل هذا الإصرار والتحمل والتحمس للرحلة لأنها أصل العلم فبفضلها تترسخ المعارف في ذهن الطالب وينضـج فكره، وكلما زاد عدد الشيوخ كلما عظمت فائدة الرحلة، وهذا ما أكده ابن خلدون في قوله: "الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشـــيخة مزيد كمال في التعلم" حيث أن "البشـر يأخذون معارفهم...تارة علما وتعليما والقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشـرة ...فعلى قدر كثرة الشـــيوخ يكون حصـــول الملكـات ورســـوخهـا...وتعـدد المشـــايخ يفيـده تميز الاصطلاحات...وتصحح معارفه..."[6]، وبما أن العلم كان يحصل أساسا بالمشافهة، والكتب كانت نادرة حيث أن الدراسة العملية تقوم مقام ما نصنعه اليوم من تتبع المراجع والمؤلفات التي

---

[1]– الترمذي، المصدر السابق، ج3، ص386.

[2]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص40.

[3]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص353.

[4]– رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص40.

[5]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص469.

[6]– نفسه، ص ص578–579.

تزخر بها خزانات الكتب العامة والخاصة[1]، وجب الارتكاز عليها لضرورة اكتساب ملكات جديدة، فأضحت من التقاليد المحمودة لكل طالب علم[2].

كانت الرحلة العلمية ومازالت شرفا لكل طالب علم، حيث أن اقتصار طالب العلم على شيوخ بلده يقدح في قيمة ما يحمله من علم فهي في رأي ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ) "شرف لكل طالب علم"[3]، لذا شد محبي العلم من بلاد المغرب الاسلامي الرحال إلى مختلف الحواضر الإسلامية سواء المغربية أو الأندلسية أو المشرقية (كالقاهرة ودمشق وبغداد والمدينة المنورة ومكة...) تدفعهم الرغبة في الاستزادة من العلم على يد كبار شيوخها بالإضافة إلى نشر معارفهم وعلومهم هناك، فطارت شهرتهم مغربا ومشرقا وتركوا بصماتهم في حقل العلم والمعرفة، وتعتبر فترة البحث من أزهى وأغنى الفترات الثقافية والعلمية التي عاشها المغرب الأوسط، حيث تزايدت فيها نسبة الرحلات العلمية[4]، ولعل ذلك راجع للدوافع التالية:

- ✓ حرية التنقل بين مختلف حواضر العالم الإسلامي رغم الاضطرابات السياسية.
- ✓ الرغبة في تحصيل العلم والتفرغ له.
- ✓ بساطة شروط الالتحاق بالمراكز التعليمية وعدم التمييز بين الطلبة.
- ✓ حرية الطلبة في اختيار أساتذتهم والانتقال من شيخ لآخر لإتمام تعليمهم، مع ترحيب الشيوخ لهم[5].
- ✓ من أجل طلب الحديث والبحث عن أسانيده ورواته وأحوالهم...، حيث تعتبر من أهم طرق

---

[1]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص41.

[2]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص342.

[3]– ابن قنفذ، **شرف الطالب في أسنى المطالب**، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2003، ص22.

[4]– رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص41.

[5]– إبراهيم بلحسن، **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن (7-9هـ/13-15م)**، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005، ص39، ص120.

المحدثين ومنهجهم في التحصيل العلمي.

✓ اهتمام الحكام بالعلماء وطلبة العلم مع حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة والاعتناء بهم وتوفير أماكن الإقامة لهم والتكفل بحاجياتهم، حيث أوقفت لهم العديد من دور العلم من مدارس وزوايا ومساجد، وهذا ما أشار إليه الرحالة ابن جبير في قوله: "فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات الكثيرة: فأولها فراغ البال من أمور المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها، فإن كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد ولا عذر لمقصر"[1].

كل هذه التسهيلات والمساعدات شجعتهم على البقاء، وفتحت لهم باب التحصيل وتبادل الآراء في مختلف العلوم، ومد جسور العلم والثقافة وتداول المعارف والكتب وتبادل الإجازات، فبرزت كوكبة من الأساتذة والعلماء تميزوا بغزارة التحصيل وقوة التفكير حتى أصبحوا حجة في الفقه والتفسير، وعلم الأصول والنحو والأدب والتاريخ...فكان لهم باع طويل في هذا المجال، وتركوا آثارا علمية وبصمات فكرية وسمعة طيبة أينما حلوا وارتحلوا[2]، كما يشكل القرنين (8-9هـ/14-15م) أكبر موجة من موجات الهجرة الأندلسية، ومن بين الوافدين الأندلسيين رجال العلم والقلم ومحبي العلم وطلابه الذين حملوا معارفهم وعلومهم، رغم كثرتهم حسب قول المقري: " اعلم جعلني الله تعالى واياك ممن له للمذهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا يحال ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام"[3]، بالإضافة إلى المغاربة ومن بين الرحالة نجد علي القلصادي الأندلسي (ت891هـ)، والعبدري

[1]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص42.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص327-328.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج2، ص39.

في القرن 7هـ/31م، وابن رشيد السبتي (ت733هـ)، وعبد الكريم المغيلي (909هـ)[1]، الذي ارتحل إلى بلاد السودان الغربي[2].

المطلب الثاني: المجالس العلمية

أدت المجالس العلمية إلى ازدهار الحركة العلمية في المغرب الاسلامي ازدهارا لم يسبق له مثيل في تاريخه الطويل، فأصبح تعدد المجالس مظهرا من المظاهر الرائعة لليقظة العلمية والفكرية التي كانت منتشرة في ربوع وأرجاء المغرب الاسلامي، حيث حرص خلفاء الدول بالمغرب الأوسط والأدنى أن يكون لهم قدر كبير في الثقافة تسمح لهم بمجالسة الفقهاء وممن عرف بتنظيم مثل هذه المجالس من ملوك بني زيان محمد بن أبي حمو حيث قال عنه الحافظ التنسي في مدحه: "وتصرف في شبيبته بين دراسة معارف وإفاضة عوارف، وكلف بالعلم حتى صار منهج لسانه وروضة أجفانه، فلم تخل حضرته من مناظرة ولا عُمِرت إلا بمذاكرة ومحاضرة، فلاحت في أيامه شموس وارتاحت للاستغراق فيه نفوس بعد نفوس"[3]، ومن بين أهم المجالس العلمية الخطبة في صلاة الجمعة والدرس الذي يسبقها والتي هي إحدى مجالس العلم الفقهية، إضافة إلى المجالس العلمية التي كانت تعقد بالمدارس ومجالس الأمراء والسلاطين.

وقد أشار القلصادي في رحلته إلى العديد من الشيوخ الذين انتدبوا الخطبة والقاء الدروس في المساجد والمدارس، مثل محمد بن مرزوق (842هـ/1439م) الذي قال فيه القلصادي: " من صلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف، ..."[4]، والشيخ أبو عبد الله محمد الشريف

---

[1]– عبد الكريم المغيلي: محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني (ت909هـ): رحالة شهير من أسرة علم وورع، درس على يد شيوخ بلاده ثم ارتحل الى بجاية وتوات، وتبحر في علوم الفقه والحديث واللغة والبيان...اشتهر بقضية اليهود في إقليم توات. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص22.

[2]– السودان الغربي :هو اقليم يقع في افريقيا الغربية، يحده شرقا تشاد، ووغربا المحيط الاطلسي وجنوبا خليج غانا، وجدت به عدة ممالك اهتمت بالعلم والعلوم مثل: غانا ومالي وسنغاي. ينظر: رزيوي زينب، المرجع السابق، الهامش رقم01، ص44.

[3]– التنسي، المصدر السابق، ص211.

[4]– القلصادي، المصدر السابق، ص97.

(847هـ/1443م-1444م)، الذي كان يعقد مجالسه بمسجد الخراطين بتلمسان[1]، إضافة إلى الشيخ أحمد بن زاغو (845هـ/1441م) الذي أشار إليه القلصادي في رحلته بقوله: " لازمته وترددت إليه، فكنت أجد في مجالسه فوائد تنسى الأوطان، ..."، وقوله: " لازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية ..."[2].

ومن الشيوخ الذين تطرق لهم القلصادي في رحلته وكانت لهم مجالس علمية، نجد الشيخ أبو الفضل قاسم العقباني (854هـ/1450م-1451م)، حيث لازم القلصادي مجلسه بعد وفاة الشيخ أحمد بن زاغو، كما حضر القلصادي لعدة مجالس أخرى من بينها مجلس الشيخ الحسن بن مخلوف، ومجلس الشيخ أبو الفضل بن الإمام، إضافة إلى الشيخ محمد بن العباس والإمام سليمان البزيدي حيث قال فيهم القلصادي: " ومن شيوخ تلمسان من حضرت مجلسه ولم نقرأ عليه بلفظي"[3]، ومن شيوخ تونس ذكر صاحب الرحلة الشيخ محمد بن عقاب (851هـ/1447م) إمام المسجد الأعظم (جامع الزيتونة)، حيث لازم القلصادي مجلسه مع الجمهور بالمدرسة الناصرية إلى غاية مغادرة تونس[4].

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص99.

[2]- نفسه، ص ص103-104.

[3]- نفسه، ص ص107-108.

[4]- نفسه، ص121.

المطلب الثالث: الاجازات العلمية

الإجازة هي الإذن في الرواية لفظا أو كتابة[1]، أي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه، ولها أربعة أركان وهي: المجيز والمجيز له والمجاز به ولفظ الإجازة[2]، يعد طلبها (من شأن أهل العلم، لمعرفة أفاضل الأئمة من صحابي وتابعي وفقيه، ومن الكمال معرفة تاريخ ولادتهم ووفاتهم ليتبين من سبق لمن يلحقه)[3]، كما تعتبر رأس مال كبير للطالب وهي تدل على المستوى العلمي، كانت تمنح في الأصل لمن يدرس علم الحديث إذ تعتبر أمر ضروري في الرواية وبها تكتمل والا كانت ناقصة لا محالة، لذا لا غنى للطالب عنها، ثم عمم استعمالها على سائر العلوم والفنون[4]، ومن اجل ذلك كله تسابق الطلبة والعلماء إلى نيلها والحصول عليها وطلبها، حيث كانوا لا يكتفون بالإجازة التي يمنحها علماء بلدانهم بل ينتقلون إلى أماكن أخرى متحملين مشقة السفر وعنائه من اجل شرف نيلها[5]، حيث لا تعطى للطالب إلا بعد طول ملازمة للشيخ والأخذ عنه، حتى يتمكن في مادته، وقد اشترط في المجيز أن يكون عالما بعلم يجيز به، متقنا لغته وثقة في دينه وروايته، على أن يكون المستجيز من أهل العلم متسما بسماته حتى لا يوضع العلم إلا عند أهله[6]، وبعد الإجازة يصبح الطالب شيخا وهو لقب الأستاذية، ويترقى إلى مصاف العلماء والفقهاء والأدباء له مكانته في المشيخة العلمية[7].

إن الإجازات العلمية تختلف باختلاف مانحيها وباختلاف الحاصلين عليها، فقد تكون إجازة عن كتاب تشهد للطالب بإتقانه وتعطيه الحق في تدريسه إن أراد، وقد تكون عن

---

[1]– الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص15.

[2]– رزيوي زيب، المرجع السابق، ص138.

[3]– ابن مريم، المصدر السابق، ص ص307–308.

[4]– رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص138.

[5]– الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص101.

[6]– رزيوي زيب، المرجع نفسه، ص138.

[7]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص357.

موضـــوع معين فقط، أو عن مادة من المواد...[1]، حيث كانت منتشـــرة في دولة بني زيان منذ تأســـيســـها، وأصـــبحت بمرور الزمن عادة متوارثة جيلا بعد جيل، واســـتمر وجودها إلى آخر العهد الزياني، حيث كانت لها مكانتها المرموقة في ســـوق العلم، وتراجم علماء المغرب الأوســـط تزخر بأنواع الإجازات التي أخذوها ســـواء داخل بلدهم أو خارجه رغبة في الاســـتزادة من الإجازات لتدعيم مصـــداقيتهم العلمية التي لا تتحقق إلا بالإجازة التي يكون قد أخذها من علماء كبار ومشـــهورين، باعتبارها شـــهادة لازمة لابد منها حتى يتســـنى له الظهور بمظهر الأستاذ الحاذق، فيكتسب إجلال واكبار العامة وكذا طلبة العلم[2].

والأمثلة عن ذلك كثيرة جدا حفظتها كتب التراجم والســـير مثل إجازة أحمد بن عبد الله المناوي المعروف بابن الحاج (ت930هـ/1524م) الذي طلب من شيخه أحمد بن زكـــــــري الذي درســه الأصــول والفقه والعربية والبيان...أن يجيزه ويســتعجله خوفا من وفاة شــيخه لهرمه حيث راســـله في قوله: "الحمد لله...، ســـيدي احمد بن محمد بن زكري الذي صـــارمه في كل فن من فنون العلم يفري...إرادة العبد من ســـيده ومولاه، أن يتطول عليه بما قد كان أولاه، بإجازة تقيد ما عليه أملاهن وينتظم بها في عقد أصـــحابه،...إجازة مطلقة عامة، وافية بالغرض المقصـــود تامة، تحتوي على جميع أنواع العلم وفنونه،...وانما جرأني على هذا الاستعجال، خشية انقضاء الآجال..."[3]، ثم أضاف في قوله:

أَجِب دُعَاءَ مُسْتَغِيثٍ وَجِل ... مُرَوَع القَلْبِ قَلِيـلٌ الحِيـــلِ
وَجَوِزْنَهُ مُطْلَقًا فِي كُلِّ مَـا ... أَجَزْتَ فِيهِ لِلشُّيُوخِ العُلَمَـــا
إِجَـازَةً تَعُمُّـــهُ وَنَسْلَـــــــهُ ... حَاوِية مَعنَى الّذِي سِيقَت لَهُ
تَقْضِي لَـهُ بِالمَجْدِ وَالتَّعَزُّزِ ... وَتَبْسِـــطُ البَذْلَ بِوَعْدٍ مُنْجَـز[4]

[1]– رزيوي زيب، المرجع السابق، ص138.
[2]– ابن مريم، المصدر السابق، ص20.
[3]– نفسه، ص ص18–20.
[4]– نفسه، ص21.

وعادة ما كان الشـــيوخ يلبون رغبات طلابهم فبعث ابن زكري لطالبه إجازته مدونا فيها اسمه ونسبه وتاريخ الإجازة...حيث جاء في قوله: "الحمد لله... أما بعد فمرغوب الفقيه اللبيب، الوجيه الأريب، كاتب اسمه في الاستدعاء المكتوب هذا بظهره، متلقى بالإسعاف، ومقابل بنيل قصده بطريق الإنصاف، وما طلب من الإجازة، فقد سوغته انجازه، فليروي عني ما يجوز في الرواية على الشروط المعروفة، والسنن المألوفة، فهو أهل لان يروي ويروى عنه من شاء... قال ذلك وكتب بخط يده عبيد الله سبحانه، أحمد بن محمد بن زكري لطف الله به في أوائل شهر ربيع الثاني، من عام سبعة وتسعين وثمانمائة (897هـ/1491م) ...أجزت لأولاد الفقيه المذكور، ما أجزت له على الشرط المسطور"[1].

فقد أجاز أحمد القلشاني(863هـ) القلصادي في صحيح البخاري وبعض صحيح مسلم ومختصر المدونة للبراذعي[2]، كما أجازه محمد بن عقاب(851هـ/1447م)[3] في كل ما قرأ عليه، وصفوة القول إن الإجازة كانت بمثابة الشهادة التي بواسطتها يتمكن الطالب من ولوج عالم التدريس والفتوى، وبفضلها حافظ أهل المغرب الإسلامي على أسانيد العلوم والتعليم فازدهرت العلوم العقلية والنقلية.

[1]– ابن مريم، المصدر السابق، ص ص22–23.

[2]– القلصادي، المصدر السابق، ص116.

[3]– محمد بن إبراهيم بن عقاب الجذامي التونسي، قاضي الجماعة بتونس وإمامها وخطيبها بالجامع الأعظم، أخذ عن الشيخ ابن عرفة وأجازه سعيد العقباني، توفي سنة(851هـ/1447م) ودفن المرسى بمقبرة الشيخ أبي سعيد الباجي. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص118.

الفصل الثالث

أصناف العلوم ومشاهير العلماء في المغرب الاسلامي من خلال كتاب رحلة القلصادي

العلوم الدينية

العلوم اللسانية والاجتماعية

العلوم العقلية

لقد تميز المغرب الاسلامي وبالأخص المغرب الأوسط بوجود جملة من العلوم والمعارف خلال الفترة المدروسة، والتي شكلت المحتوى الفكري للحركة العلمية، قسمها عبد الرحمن بن خلدون[1] من حيث الغاية من دراستها إلى قسمين:

علوم مقصودة بالذات: يتوجب الاتساع في دراستها، وهي العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكذلك العلوم الطبيعية والإلهية.

* علوم آلية: تساعد على دراسة العلوم السابقة كالعربية والحساب للشرعيات والمنطق للفلسفة وأصول الفقه، وهذه الأخيرة يتوقف مقدار دراستها على الحاجة إليها ولا يجب توسيع المدار فيها، لأن ذلك مضيعة للوقت، وقد يؤدي إلى التقصير في دراسة العلوم الأساسية.

* أما من حيث أصنافها فقد قسمها إلى قسمين رئيسيين :علوم نقلية وعلوم عقلية وفي ذلك يقول[2]: "اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبعة فكره ...والثاني هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول"، ويندرج تحت هذين القسمين علوم فرعية كثيرة وضحها ابن خلدون بشيء من التفصيل والبيان حسب مخططه، الذي أمكنه استيعاب جميع العلوم والمعارف المعروفة في تلك الفترة بالمغرب الإسلامي[3].

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص574.

[2]– نفسه، ص ص471–472.

[3]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص181.

المبحث الأول

العلوم الدينية

علم القرآن

علم الحديث

علم الفقه

علم التصوف

المطلب الأول: علم القرآن

لقد اعتبر القرآن الكريم التشريع الأول للمسلمين والمصدر الأساسي الذي ينظم شؤونهم الدينية والمدنية[1]، عرفه ابن خلدون بأنه :" كلام الله المنزل على بينة المكتوب بين دفتي المصحف وهو المتواتر بين الأمة "[2]، حيث ظهرت علوم القرآن بنزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها تنوعت وتعددت فأصبح اهتمامهم ينصب على تلاوته وتجويده، وكذلك بدأوا يحرصون على تلقينه لغيرهم من خلال حفظه وقراءته كما ذكر الرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَمَ القُرْآن وَعَلَمَهُ"[3]، كما يتناول علم القرآن الأبحاث المتعلقة به من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وفروعا كثيرة أبرزها علمين أساسيين هما علم القراءات والتفسير[4].

أ-علم القراءات:

لعلماء القراءات تعاريف متعددة لهذا العلم[5] أبرزها: تعريف ابن الأكفاني (ت749هـ) الذي اعتبرها "علم ينقل لغة القرآن وإعرابه الثابت بالسماع المتصل"[6]، أما ابن الجزري (ت833هـ) فيرى بأن: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا بناقله، والمقرئ العالم بها، رواها مشافهة، في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة"[7].

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص774.

[2]- نفسه، ص407.

[3]- شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج11، دار طيبة، الرياض، ط1، 2005، ص269.

[4]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص182.

[5]- نفسه، ص183.

[6]- نفسه، ص183.

[7]- ابن الجزري، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م، ص49.

إن لعلم القراءات علاقة وثيقة بعلـــــم الرســـــم وهو: معرفة أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية[1]، وعلـــــم الضبـــــــــط وهو: العلم الذي يبحث في طريقة نقط الكلمات والحروف القرآنيـــة، نقـــط إعراب ونقط اعجام وما يتعلـق بذلك من رموز وحركات[2]، ولكي تكون القراءة صحيحة لابد من توفر ثلاثة أركان وضحها ابن الجزري في قوله: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصـــاحف العثمانية ولو احتمالا وصـــح ســـندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على النـــــــــاس قبولها"[3]، وعليه تنقسم القراءات عند القراء إلى قسمين :الأول القراءات المتواترة (الصـــحيحة) المتوفرة على الأركان الثلاثة، أما الثاني هي القراءات الشـــاذة (الضعيفة)[4].

ومن أهم العلماء الذين ورد ذكرهم في كتاب رحلة القلصـــادي نجد ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م) وصـــفه القلصـــادي في قوله: "وكانت أوقاته كلها معمرة بالطاعات ليلا ونهارا، من صـلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفتيا وتصـنيف، وكانت له أوراد معلومة..."[5]، تبحر في علوم كثيرة وساهم في علم القراءات بأرجوزته (رجز حرز الأماني)[6].

ب- علم التفسير:

يعتبر علم التفسـير أول العلوم الإسـلامية ظهورا، إذ بدأ الخوض فيه في عصـر النبي صـلى الله عليه وسـلم الذي يعد أول شـارح ومفسـر للقرآن الكريم، وفي عهد الخلفاء الراشـدين حيث كانوا يدركون معاني القرآن بسهولة ويسر[7].

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر نفسه، ص474.

[2]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص184.

[3]- ابن الجزري، المصدر السابق، ص ص81-82.

[4]- نفسه، ص82.

[5]- القلصادي، المصدر السابق، ص97.

[6]- المقري، المصدر لسابق، ج5، ص430.

[7]- رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص189.

علم التفسير من العلوم الدينية الذي لاقى اهتماما واسعا من علماء أهل المغرب الاسلامي لقيمته الكبيرة، وهو علم يشتمل على معرفة وفهم كتاب الله المنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، عرف العلماء المغاربة طريقتين ذكرها ابن خلدون لتفسير القرآن الكريم فتحدث عن التفسير وهناك من المفسرين، المأثور ويستند إلى الآثار المنقولة عن النبي صل الله عليه وسلم والسلف الصالح، والعمل بهذا يراه ابن مريم من أصعب الأمور ويقول: عن من يفسر القران كأنه شهد التنزيل، ويضيف أن الرسول (ص) لم يكن يفسر من القرآن إلا آيات معدودة[1].

كما أنه لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن، إلا لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج إليها المفسر وهي كالآلة له، فلا يكون مفسرا إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه[2]، وهي تنحصر ما بين(15-24) علما، مقسمة إلى لفظية وعقلية وموهبيه منها: اللغة، والاشتقاق، والتصريف، والنحو، وعلم المعاني والبيان والبديع، والقراءات...[3].

ومن أهم الكتب وعلماء التفسير خلال هذه الفترة والتي ورد ذكرها في كتاب رحلة القلصادي نجد:

ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م) وصفه التنبكتي "بالإمام العالم العلم جامع أشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا"[4]، "كان آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على المنقول والقيام الأكمل على الفنون بأسرها...من معرفة التفسير ودرره والاطلاع بحقائق التأويل وغرره، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد"[5]،

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص219.

[2]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص191.

[3]- نفسه، ص191.

[4]- التنبكتي، المصدر السابق، ص503.

[5]- نفسه، ص500.

ومن إسهاماته: (بحر المحيط و كشاف دقائقه بلفظه الوجيز الفائق على البسيط الوسيط) و(الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات)[1]، بالإضافة إلى تميزه بتدريس إعراب القرآن[2]، وتفسير بعض سوره (كالإخلاص)[3]، و(المائدة)و(مريم) حتى قيل فيه بأنه فارس التفسير[4].

وهناك أيضا أبي العباس أحمد بن زاغو التلمساني[5] (ت845هـ/1441م) كان أعلم الناس في وقته بالتفسير، يدرسه في المدرسة اليعقوبية في فصل الشتاء حسبما ذكره تلميذه القلصادي[6]، ومن كتبه (مقدمة في التفسير) و(تفسير الفاتحة) و(التذييل في ختم التفسير)[7]، قال فيه القلصادي "لولا عجائب صنع الله ما ثبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب... اقتداء بالسلف الصالح"[8].

كما شهدت هذه الفترة في المغرب الإسلامي العديد من العلماء، منهم من حضر له القلصادي ومنهم من لم يحضر مجلسه، ومن العلماء الذين حضر لهم القلصادي على غرار الذين سبق ذكرهم نجد، محمد بن احمد بن النجار[9](ت846هـ) فقيه أصولي شارك في العلوم النقلية والعقلية، يعتبر واحدا من بين الشيوخ الذين حضر لهم القلصادي دروس في تفسير القرآن بتلمسان[10]، أما بتونس فنجد من حضر لهم القلصادي الامام أبو العباس أحمد بن محمد

---

[1]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص195.

[2]– القلصادي، المصدر السابق، ص97.

[3]– رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص195.

[4]– عبد العزيز فلالي، المرجع السابق، ج2، ص440.

[5]– أحمد بن زاغو: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان المغراوي الخزري شهر بابن زاغو، من شيوخه سعيد العقباني وأبو يحيى الشريف، توفي في زمن الوباء عام 845هـ/1441م، ودفن بطريق العباد مع الأولياء التلمسانيين منهم سيدي أبو مدين شعيب. أنظر: القلصادي، المصدر السابق، ص ص102–106.

[6]– القلصادي، المصدر نفسه، ص103.

[7]– نفسه، ص103.

[8]– نفسه، ص104.

[9]– محمد بن النجار: هو سيدي أبو عبد الله محمد بن النجار وكانت له مشاركة في العلوم العقلية والنقلية، توفي سنة 846هـ/1442م–1443م. أنظر: القلصادي، المصدر نفسه، ص102.

[10]– ابن مريم، المصدر السابق، ص ص221–222.

القلشاني (ت863هـ/1458م)، الذي سمع منه بعض التفسير من القرآن الكريم[1]، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عقاب(ت851هـ/1447)، حيث حضر له القلصادي بعض التفسير من الكتاب العزيز، من آخر سورة الحشر إلى آخر سورة البروج[2].

المطلب الثاني: علم الحديث

يقول عنه عبد الرحمن بن خلدون بأنه "فن شريف في مغزاه، لأنه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريف"، أي هو مختص بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية ودراية، فمنها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه، ومنها ما يتعلق بالنظر في الأسانيد، بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط، ومراتب النقلة من الصحابة التابعين، وهذا هو علم الرواية، ومنها ما يتعلق بمتون الأحاديث وما يقع في ألفاظها من غريب أو مشكل أو تصحيف أو متفرق منها أو مختلف وهذا هو علم الدراية[3]، وفي تعريف آخر هو «علم يعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية[4]، ويقسم إلى ثلاثة أقسام :الصحيح والحسن والضعيف[5].

ومن أهم كتب الحديث في الفترة المدروسة من خلال ما ذكره القلصادي برحلته نجد صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/869م) وهو أول الصحاح وأعلاها رتبة، ونظرا لشساعته ولطريقة جمعه وتكرار أحاديثه صعب شرحه لدرجة قال عنها ابن خلدون: "ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رحمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعنون أن أحدا من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار"[6]، لذا اقبل عليه

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص116.

[2]- نفسه، ص121.

[3]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص477-479.

[4]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص199.

[5]- نفسه، ص199.

[6]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ص478-480.

الطلبة والعلماء تدريسا وشرحا، كما اعتنى به السلاطين نسخا، فقد نسخه بيده السلطان الزياني أبي زيان محمد الثاني (ت801هـ)[1]، كتاب الموطأ للإمام مالك بن انس (ت79هـ/769م) وهو معتمد أهل المغرب فقها، يحتوي على الأحاديث الصحاح بسند أهل الحجاز، رتبه على أبواب الفقه[2].

ومن علماء الحديث في هذه الفترة نجد ابن مرزوق الحفيد الذي كانت له "إحاطة بعلم الحديث وفنونه، وحفظ رواياته، ومعرفة متونه، ونظم أنواعه، قصده العلماء لمعرفة رواياته وعولوا عليه في حل مشكلاته وفتح مقفلاته"[3]، دَرَسَ ودَرَّسَ الحديث، يعد عبد الرحمن الثعالبي من أهم تلامذته الذي قال عنه: "أخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطأ ... وختمت عليه أربعينيات النووي قراءة عليه في منزلة قراءة تفهم، فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع"[4]، بالإضافة إلى الحسن بن مخلوف (ت868هـ/1464م) الذي وصفه ابن القاضي بالفقيه المحدث، صاحب (الرند الواري في ضبط رجال البخاري) و(فتح المبهم في ضبط رجال مسلم)، وله أيضا ثلاثة شروح للشفا أكبرها في مجلدين سماها (الغنية)[5].

ومن علماء تونس فقد أخذ القلصادي الحديث عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عقاب(ت851هـ/1447)، ولك بقوله: "وسمعت عليه رواية جميع صحيح البخاري غير مرة، وكتاب الشفاء للقاضي عياض..."[6].

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص211.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص478.

[3]- التنبكتي، المصدر السابق، ص ص500-501.

[4]- نفسه، ص503.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص220.

[6]- القلصادي، المصدر السابق، ص121.

المطلب الثالث: علم الفقه

علم الفقه هو البحث في الفرائض الدينية والأحوال الشخصية وحل المسائل التي تواجه الإنسان في حياته اليومية[1]، وبفضله تستقيم سلوكياتهم ومعاملاتهم سواء الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وأصوله هي القرآن والسنة والإجماع والقياس[2]، عرفه ابن خلدون: "انه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة وهي منتقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قبل لها فقه"[3].

إن الحديث عن الفقه في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة يرتبط ارتباطا وثيقا بالمذهب المالكي خاصتا بعد عودة ناصر الدين المشذالي (ت731هـ) أواخر المائة السابعة الذي أعطى جرعة إضافية ليس بترسيخ المذهب المالكي فحسب، بل بما أحدثه من ثورة فكرية في أسلوب التدريس والدراسات الفقهية معا، بعد ما أدخل معه إلى بجاية (مختصر ابن الحاجب) في الأصول والفروع، وجعله مقررا دراسيا[4].

ومن أهم الكتب والعلماء الذين ورد ذكرهم في رحلة القلصادي نجد محمد الشريف التلمساني أبو عبد الله ويعرف بحمو الشريف فقيه، ولي خطاب جامع الخراطين بتلمسان وكان يدرس فيه تلخيص المفتاح ومفتاح الوصول في علم الأصول للشريف التلمساني، توفي بتلمسان سنة847هـ[5].

أما ابن مرزوق الحفيد وصفه التنبكتي بالفقيه المجتهد "كان آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على المنقول، والقيام الأكمل على الفنون بأسرها...ففي الفقه فهو فيه مالك،

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص445.

[2]– لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص161.

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص798.

[4]– نفسه، ص468.

[5]– القلصادي، المصدر السابق، ص ص99-100.

ولأزمة فروعه جائز ومالك، فلو رآه الإمام لقال له تقدم فلك العهد والولاية، وتكلم فمنك يسمع فقهي لا محالة"[1]، عرف بصاحب التأليف الكثيرة خاصة في علم الفقه ولعل أبرزها (روضة الأديب في شرح التهذيب)، و(المنزع النبيل في شرح خليل) شرح منه الطهارة في مجلدين، وكذلك (الروض البهيج في مسألة الخليج)، بالإضافة إلى (اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة) وهو عبارة عن أجوبة على مسائل فقهية وردت عليه من عالم قفصة أبي يحي بن عقيبه[2]، أما أبو العباس أحمد بن زاغو التلمساني واحد من مدرسي الفقه في المدرسة اليعقوبية، شرح (أقضية مختصر خليل) و(ابن الحاجب الفرعي) وبعض ابن الحاجب الأصلي[3].

وأخذ القلصادي الفقه في تونس على كبار المشايخ أمثال الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد القلشاني (ت863هـ/1458م)، الذي قال فيه القلصادي: "لم أر أعرف منه بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه، ولا من يستحضر النوازل والأحكام مثله..."، ومن مؤلفاته في الفقه (تحرير المقالة في شرح الرسالة)[4]، والشيخ أبو العباس أحمد المنستيري الذي حضر له القلصادي بعض المعالم الفقهية، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عقاب(ت851هـ/1447)، الذي قال فيه القلصادي: "... إمام في الفقه وأصوله..."[5].

المطلب الرابع: علم التصوف

أصله كما ذكره ابن خلدون هو: "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه"[6]، وينقسم التصوف إلى نوعين التصوف السني ذو البعد العملي والتربوي، ويعني الالتزام

---

[1]- التنبكتي، المصدر السابق، ص500.

[2]- نفسه، ص507؛ المقري، المصدر السابق، ج5، ص ص429-430.

[3]- القلصادي، المصدر السابق، ص104.

[4]- نفسه، ص116.

[5]- نفسه، ص ص117-118.

[6]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص489.

بأوامر الله ونواهيه واتباع سيرة المصطفى عليه السلام، وما تنطوي عليه من زهد وتقشف، يتميز ببساطته وتقيده بتعاليم الكتاب والسنة وأخلاق السلف الصالح، لذا حظي بإقبال كبير وانتشار واسع بالمغرب الإسلامي، وبات يسمى تصوف العامة، أما النوع الثاني يسمى التصوف الفلسفي وهو الذي يتحدث عن وحدة الوجود والانقطاع، يحتاج الدارس لمسائله وأبعاده إلى جهد ذهني غير عادي، وباعتباره فكرا غريبا مشبعا بأفكار الفلسفة اليونانية وغيرها، لم يحظ بنفس القبول ولم تمنحه البيئة المغاربية حظا عكس التصوف السني، لذا يسمى تصوف النخبة[1].

بعد تعرض الفكر الصوفي للرفض من قبل المرابطين، عاد بقوة في عهد الموحدين الذين فكوا القيود التي فرضها عليه المرابطون، فكان ذلك بمثابة الانطلاقة الحقيقية للتيار الصوفي وسبب في تنميته وانتشاره في بلاد المغرب الإسلامي، إلى أن عم مختلف شرائح المجتمع بما فيهم العوام، ولعبت الزوايا دورا كبيرا في ذلك[2].

ومن أهم علماء التصوف الذين ورد ذكرهم في رحلة القلصادي، ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م) فقد ألف كتاب (نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين) في شأن البدلاء، كما له كتاب آخر رد فيه على معاصره الإمام قاسم العقباني وخالفه في فتواه المتعلقة بمسألة الفقراء الصوفية سماه (النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص) في سبعة كراريس[3].

أما أبو العباس أحمد بن زاغو التلمساني (ت845هـ/1441م) فله قدم راسخة في التصوف، كان يدرسه لطلبته يومي الخميس والجمعة بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان، من مصنفاته (شرح حكم ابن عطاء الله) وشرحها لابن عباد، و(لطائف المنن)[4]، وصنف قاسم بن سعيد

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص384-387.

[2]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص231.

[3]- السخاوي، المصدر السابق، ج7، ص ص50-51.

[4]- القلصادي، المصدر السابق، ص ص103-104.

العقباني (854هـ/1450م) أرجوزة تتعلق بالصوفية في اجتماعهم على الذكر وغيره[1]، وله أيضا فتاوى في مسألة الفقراء الصوفية وهي التي نقدها ابن مرزوق الحفيد، وإبراهيم التازي (ت866هـ/1462م) الذي أثرى هذا العلم بلسانه وزاويته بوهران وقلمه، اشتهر بقصائده التي نظمها في التصوف والمديح، يكشف من خلالها عن جانب كبير من الفكر الصوفي لهذا العالم، والموضوعات التي أثارها ومساره العام، ولعل أشهر قصائده (المرادية)[2].

[1]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص235.

[2]– نفسه، ص236.

المبحث الثاني

العلوم اللسانية والاجتماعية

علم الأدب

علم اللغة والنحو

علم التاريخ

المطلب الأول: علم الأدب

عرفه ابن خلدون بقوله: "هو علم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وانما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم"[1]، وينقسم الأدب حسب ابن خلدون إلى قسمين: "اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين: في الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفى، ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية (ومنه المدح والهجاء والرثاء)، وفي النثر وهو الكلام غير الموزون، وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام"[2]، ويتطلب التمكن من هذا العلم بين الحفظ والدراسة لأشعار العرب وأنسابهم الشهيرة وأخبارهم العامة، وعلوم اللسان العربي وبالخصوص اللغة والنحو، والقرآن والحديث[3]... .

شهد المغرب الإسلامي عدة عوامل ساهمت في تقدم علم الأدب نثرا وشعرا، وجعلته محط اهتمام واحترام كل الطبقات والفئات الاجتماعية، حيث تأثر أدب المغرب الإسلامي بأدب المشرق والأندلس دون أن يفقد شخصيته وما له من خصائص ومميزات[4]، كما كان لسقوط المدن الأندلسية في يد النصارى تأثيرا كبيرا في تنشيط حقل الأدب بفنيه حيث حفز ذلك الأدباء الذين خاضوا المعركة بالشعر والكتابة والخطابة بالدعوة إلى إنقاذ الفردوس المفقود[5]، وينقسم الأدب إلى قسمين: شعر ونثر ولكل منهما أنواعه.

أ-النثـــر:

وهو الذي يكون إما نثرا مسجوعا وهو الذي يؤتى قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة، أو نثرا مرسلا وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقا، ولا يقطع أجزاء بل يرسل ارسالا من

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص590.

[2]- نفسه، ص605.

[3]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص255.

[4]- الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص183.

[5]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر نفسه، ص583.

غير تعبير بقافية ولا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء والترغيب والترهيب[1] ...، فقد عرف هذا العصر النثر الفني مثل المقدمات السجعية التي كان الكتاب يتفننون فيها، وفي الاجازات التي كانوا يتلقونها عن بعضهم، وفي الرسائل الاخوانية التي كانوا يتبادلونها، والرسائل السلطانية التي كانوا ينشئونها[2]، في حين نجد نثرا مرسلا في الأسلوب العلمي والكتابة التاريخية كالذي انفرد به يحي بن خلدون وأبي عبد الله التنسي[3].

ب- الشعر:

ازدهر الشعر بالمغرب الإسلامي خلال هذه الفترة، ازدهارا ملحوظا كغيره من العلوم والفنون، بفضل نمو الحركة الفكرية والأدبية، حيث لم يكن قول الشعر مقتصرا على الشعراء والأمراء فحسب، بل تعدى ذلك إلى الوزراء والكُتَّاب والأطباء والفقهاء ...[4].

وقد برز في هذا المجال كوكبة كبيرة من الأدباء والشعراء منهم من ذكرهم القلصادي في رحلته أمثال: محمد بن مرزوق الحفيد حيث ذكر القلصادي آخر بيت سمعه منه قبل موته قائلا:

إن كان سفك دمي أقصى مرادكم فما غلت نظرة منكم بسفك دمي[5].

والشيخ أحمد بن زاغو الذي كانت له اسهامات كبيرة في الأدب ومن الأبيات التي ذكرها عنه القلصادي في رحلته

رأيت الانقباض أجل شيء وأدعى في الأمور إلى السلامة

فهذا الخلق سالمهم ودعهم فخلطتهم تقود إلى الندامة

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص603.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص457.

[3]- رزيوي زينب، المرجع السابق، ص257.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص463.

[5]- القلصادي، المصدر السابق، ص98.

ولا تعني بشيء غير شيء يقود إلى خلاصك في القيامة[1]

والشيخ إبراهيم التازي(ت866هـ/1462م) كان مقدما في علم اللسان، له قصائد رائقة أنيقة له مولديات وانشادات لا تحصى، منها قصيدته الدالية المسماة بالنصح التام للخاص والعام ينصح فيها المسلمين في قوله:

إن شِئتَ عيشًا هنيئًا واتِباع هُدى فاسمع مقالِي وكن باللَّهِ مُعتَضِدَا[2].

المطلب الثاني: علم اللغة والنحو

علم اللغة هو علم يتناول بيان الموضوعات اللغوية[3]، باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية، يقوم بإيضاح المعاني بالألفاظ الفصيحة والأقوال البليغة، والغاية منه الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية، ولتحقيق ذلك يحتاج هذا العلم إلى علمين النحو والصرف، وللغة أهمية كبيرة اعتبرها القلقشندي رأس مال الكاتب، وأسّ كلامه، وكنز إنفاقه[4].

علم النحو يعد من فروع اللغة العربية وهذا ما عبر عنه ابن خلدون في قوله: "وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قونين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الاشباه بالأشباه، مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته اعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وامثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدوها

[1]– القلصادي، المصدر السابق، ص104.

[2]– ابن مريم، المصدر السابق، ص60.

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص583.

[4]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص240.

بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو"[1]، فكان أول من أصل ذلك ووضع للنحو أبوابا وأصل له أصولا هو أبو الأسود الدؤلي (ت69هـ/688م) بأمر من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2].

ومن أهم الفقهاء والعلماء اللغويين ومؤلفاتهم الواردة في رحلة القلصادي، ابن مرزوق الحفيد الذي كان يدرس لطلابه جملة من الكتب تتعلق بالنحو والصرف مثل كتاب سيبويه، و(إيضاح المسالك في ألفية ابن مالك)، والمعني لابن هشام وكذلك من مؤلفاته (المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية) و(المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية)[3]، أما قاسم العقباني(ت854هـ/1450م) المجتهد الذي قال عنه القلصادي: " ... انفرد بفني المعقول والمنقول، واتحد في علمي اللسان والبيان ..."[4]، فقد ألف (قواعد النحو).

ومن علماء اللغة والنحو الذين أخذ عنهم القلصادي نجد الشيخ أبو العباس أحمد المنستيري قال فيه القلصادي: "ولم أر أحفظ منه لكلام ابن عصفور، ولا من يستحضر نصوص المتقدمين من النحاة مثله"[5].

المطلب الثالث: علم التاريخ

علم التاريخ هو عبارة عن تسجيل الأحداث على أساس الزمن، حظي بالاهتمام البالغ من طرف العلماء إذ يصنفونه من أنبل العلوم لأنه يظهر لهم مصائر الأمم السابقة وحوادث الزمان فهو علم قائم بذاته ينبع أحداث الماضي تسجيلا ودراسته وتحليلا بحيث يمكن الاستفادة منه في فهم الحضارة والتنبؤ للمستقبل[6]، عرفه ابن خلدون بقوله: " انه فن من الفنون التي

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص584.

[2]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص243.

[3]– التنبكتي، المصدر السابق، ص506.

[4]– القلصادي، المصدر السابق، ص106.

[5]– نفسه، ص117.

[6]– رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص274.

تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب وتسموا إلى معرفة السوقة والإغفال وهو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرن الأول... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ... فهو لذلك أصل في الحكمة عريق وجدير بان يعد من علومها كما يتم"[1].

بواسطة التاريخ يتم كشف كذب الرواة وتزويرهم حتى قيل: " لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ فلولا أهمية التاريخ لما اندفعت الأمم إلى دراسته والسعي لإدراك الماضي على حقيقته"[2]، عرفه السخاوي بأنه: " فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت بل عما مكان في العالم وموضوعه الإنسان والزمن، ومسائله أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان، وفي الزمان، وإما فائدته معرفة الأمور"[3]، لم يتطرق القلصادي في رحلته إلى المؤرخين على غرار ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) فقد صنف كتابا (في مناقب شيخه ابراهيم المصمودي).[4]

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص43.

[2]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص276.

[3]– شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، تح: فرانز روزنشال، تر: صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986، ص19.

[4]– المقري، المصدر السابق، ج5، ص430.

المبحث الثالث

العلوم العقلية

علـم الطـب

علم الرياضيات

علـم المنطـق

المطلب الأول: علم الطب

هو فرع من فروع الطبيعيات[1]، وهو "علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة، ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة"[2]، وفي تعريف مختصر هو حفظ الصحة وإزالة العلة، بمختلف الأدوية والأغذية النافعة لذلك، بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، ومعرفة أسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها[3].

باعتبار الطب حافظ للصحة الموجودة وراد للصحة المفقودة، جعل من أشرف الصنائع واربح البضائع، ذات شرف وفخر، ورد تفضيلها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية حتى جعل علم الأبدان قرينا لعلم الأديان، وعن ذلك يقول الإمام الشافعي: "العلم علمان علم طب للأبدان وعلم فقه للأديان"[4]، وحث الإسلام على التداوي في قول النبي صل الله عليه وسلم: «ما أنزلَ اللهُ دَاء إلاَّ أنزلَ لهُ شِفاء»[5].

انتشر تعليم الطب ببلاد المغرب الإسلامي خاصة وأن مجتمعه قد تأثر تأثرا شديدا بالكوارث الطبيعية والأوبئة والأمراض الفتاكة، وبالمجاعات الناتجة عن الجفاف والأعاصير والجراد، وبالأزمات السياسية التي كانت تحدث من حين إلى آخر متسببة في حروب مدمرة، كل ذلك انعكس سلبا على المجتمع، وساهم في صعوبة العيش، وفي حصد الكثير من الأرواح خاصة وباء الطاعون الذي يعد اشد الجوائح الطبيعية، وأكثرها فناء وأشدها فتكا للبشرية حيث ضرب تلمسان مرات عديدة[6]، بالإضافة إلى انتشار أمراض كثيرة مثل السعال ومرض البلعوم والزكام والأورام والإسهال ...، كل هذا جعل أطباء المغرب الإسلامي يعتنون بهذا العلم زيادة

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص530.

[2]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص324.

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر نفسه، ص531.

[4]– رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص324.

[5]– صحيح البخاري، ج4 (باب الطب)، ص32.

[6]– عبد العزيز فلالي، المرجع السابق، ج1، ص243.

على شرفه ومكانته[1].

معظم الفقهاء والعلماء الذين ذكرهم القلصادي في رحلته كانوا موسوعيين لذا لم يتطرق إلى الكتب وعلماء الطب والصيدلة على الخصوص ومن أشهر بين العلماء الذين برزوا والكتب المتداولة حسب رحلة القلصادي نجد، الشيخ أبو عبد الله محمد الدهان (ت853هـ/1448م)، الذي قرأ عليه القلصادي أرجوزة ابن سينا في الطب وقال عنه: "ومنهم الشيخ الموقر الملحوظ الطبيب: يدي أبو عبد الله محمد الدهان، ..."[2].

المطلب الثاني: علم الرياضيات

هو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو بالتضعيف، وهو أول أجزاء التعاليم وأثبتها ويدخل في حساب البراهين[3]، أو هو "علم يتعلم منه أنواع العدد وأحوالها وكيفية تولد بعضها من بعض، وموضوعه الأعداد من جهة لوازمها وخواصها"[4]، ومن فروعه:

* علم الحساب: وهو صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق[5]، أو هو حسب الساجقلي "علم بقوانين يستخرج بها المجهولات العددية من معلوماتها، موضوعه :الكم المنفصل وهو العدد...، يعد (ربع العلم) لأنه نصف الفرائض"[6].

* علم الجبر والمقابلة: وهي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم أي المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك، مبني على ثلاثة أسس: وهي العدد والجذر والمال[7]، وهي حسب الخوارزمي صناعة من صناعات الحساب وتدبير حسن لاستخراج المسائل

[1]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص324.
[2]– القلصادي، المصدر السابق، ص117.
[3]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص519.
[4]– رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص300.
[5]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر نفسه، ص520.
[6]– رزيوي زينب، المرجع نفسه، ص300.
[7]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر نفسه، ص521.

العويصة في الوصايا والمواريث والمعاملات والمطارحات، وسميت بهذا الاسم لما يقع فيها من جبر المنقصات والاستثناءات ومن المقابلة بالتشبيهات، أي هي نوع من تبسيط المسائل الحسابية المعقدة وتسهيل الطرق المؤدية إلى حلها، حيث تستخرج منها المجهولات باستخدام حروف وأرقام وعلامات[1].

* علم حساب الفرائض: يعد جزءا من علم الفقه، وأصعب أبوابه لأنه خاص بأحكام الوراثة، ونظرا لصعوبته سمي (بنصف العلم)، أفرزه العلماء ليعظم الاهتمام به لكثرة الاحتياج إليه، وهو "علم يبحث فيه عن أحوال قسمة التركة بين الورثة"[2]، لذا اعتبره عبد الرحمن بن خلدون "صناعة حسابية من أجل العلوم"، ترتب على ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها[3].

* علم المعاملات: هو "تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها"[4].

عرف هذا العلم اهتماما كبيرا في المغرب الإسلامي عامة، لكون الدولة كانت في حاجة ماسة إليه من خلال ضبط أحكامها ومواردها ومصارفها واستخلاص ضرائبها، وهذا كله يحتاج إلى دراية بعلم الحساب بالإضافة إلى حاجة الناس إلى ضبط مواقيت الصلاة والصيام وتقسيم الميراث، وكتاب تمهيد الطالب (رحلة القلصادي) خير دليل على تطور وانتشار هذا العلم ببلاد المغرب الإسلامي، ومما جاء فيه من كتب وعلماء نذكر:

ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) فقد ترك ثروة علمية كبيرة في شتى العلوم والفنون حوالي أربعين مؤلفا، أبرزها في مجال الرياضيات وهو تلخيصه لكتاب ابن البناء سماه (نظم تلخيص

---

[1]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص300.

[2]– نفسه، ص301.

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص522.

[4]– نفسه، ص522.

أعمال الحساب) في أرجوزة قصد تسهيل تحصيله وحفظه[1]، والشيخ عيسى الرتيمي الذي قال فيه القلصادي: "ومنه شيخنا وبركتنا الفقيه الصدر العلم في الفرائض والعدد، أحد عصره، وفريد دهره في فنه ...لم أر أعلم منه بكتاب الحوفي في الذين أخذت عنهم"[2].

أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل الشهير بالزيدوري(ت845هـ/1441م) الفقيه المتفنن في المعقول، وكانت له مشاركة ممتازة وقدم في علوم الرياضيات، درَّسَ العديد من كتب الرياضيات كتلخيص ابن البناء، وكتاب الحوفي بطريقتي التصحيح والكسور، وبعض الأصول والمقدمات في الجبر والمقابلة لابن البناء، ويعتبر القلصادي من أهم تلامذته، والشيخ أبو عبد الله محمد بن النجار(ت846هـ/1442م-1443م)، الملقب بساطور القياس قال فيه القلصادي "...وكانت له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية"[3].

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان المغراوي الخزري الشهير بابن زاغو (ت845هـ/1441م)، قال عنه القلصادي أنه كان يدرس طلبته في المدرسة اليعقوبية الفرائض والحساب والهندسة في زمن الصيف[4]، والشيخ أبو الفضل قاسم العقباني (ت854هـ/1451م)، حيث ذكر القلصادي أنه انفرد بفني المعقول والمنقول وقرأ عليه بعض الحوفي بطريقتي التصحيح والكسور[5]، والشيخ محمد بن عقاب(851هـ/1447م) الذي قرأ عليه القلصادي بالمدرسة المنتصرية بعض الحوفي وبعض الجعدية في المواريث، وحضر لمختصر الحوفية وأجازه كل ذلك[6].

إلا أن الذي أثرى الرياضيات خلال القرن التاسع هجري هو القلصادي أبو الحسن

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص471.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص98.

[3]- نفسه، ص ص101-102.

[4]- نفسه، ص104.

[5]- نفسه، ص107.

[6]- نفسه، ص122.

علي الأندلسي(ت891هـ/1487م)، صاحب الرحلة التي هي محور الدراسة وله تأليف كثيرة لا تحصى في كل فن خاصة في علم الحساب، ولعل أبرزها (تحفة الناشئين على أرجوزة ابن الياسمين) وهو شرح لأرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة انتهى منه سنة (849هـ) بتونس، والقانون في الحساب وشرحه المسمى (انكشاف الحجاب عن قانون الحساب)[1]، بالإضافة إلى كتاب (كشف الأسرار "الأستار" عن علم حروف الغبار)، وهو ملخص وجيز في الحساب والجبر، و(كشف الجلباب في علم الحساب)، و(رسالة في معاني الكسر والبسط) و(رسالة في معرفة استخراج المركب البسيط)، كما له عدة كتب في الفرائض مثل :(الضروري في علم المواريث) و(الكليات في الفرائض)، و (بغية المبتدي وغنية المنتهي) و (شرح أرجوزة الشران) ، و(أرجوزة التلمساني)[2].

المطلب الثالث: علم المنطق

عرفه ابن خلدون في قوله: "هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات"، وفي تعريف آخر له يقول: "هو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، وفائدته تمييز الخطأ عن الصواب"[3]، إلا أنه مهما تعددت التعاريف إلا أن أشملها وأوضحها قول الجرجاني بأن "المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، فهو علم عملي آلي"، وقيل: "من لا معرفة له به لا وثوق بعلمه"[4].

كان المنطق مذموما في بلاد المغرب الإسلامي قبل الموحدين وكل من يشتغل به يسمى بالزنديق، إلا أن هذه النظرة تغيرت حيث كان لرجوع المهدي بن تومرت تأثير كبير في ذلك فحبب إليهم كتب الغزالي فانكب الناس على دراستها، وأزيل ما كان في نفوسهم من رفض

[1]– القلصادي، المصدر السابق، ص41.

[2]– التنبكتي، المصدر السابق، ص201.

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص516، ص527.

[4]– رزيوي زينب، المرجع السابق، ص315.

وكراهية، وأحدث فيهم مناخا علميا ملائما للجدل والمناظرة وذلك خلال القرن (6هـ/12م)، إلا أن انتشاره الفعلي في بلاد المغرب لم يتحقق إلا في القرن (ق7هـ/13م) حيث اعتمد كمنهج في تبويب المسائل والاستدلال به في علوم الفقه والأصول فاندمج في سائر العلوم[1].

ومن أهم الكتب والعلماء في المنطق ورد ذكرهم في رحلة القلصـــادي نجد ابن مرزوق الحفيد الذي حضـر له القلصـادي لكتاب المناهج للغزالي وله كتاب في شـرح الجمل للخونجي، حيث شرحه هذا الأخير في صغره وسماه (نهاية الامل في شرح الجمل)[2]، ويوسف بن إسماعيل الشهير بالزيدوري الذي أخذ عنه القلصادي الجمل للخونجي، والشيخ محمد بن النجار الذي أخذ عنه القلصـــادي الكثير في علم المنطق من بينها الجمل للخونجي والمســتصـــفى للغزالي[3]، أما أحمد بن زاغو فذكر القلصـــادي في رحلته أنه قرأ عليه كتاب الإحياء للغزالي، والشـــيخ أحمد المنسـتيري حيث ذكر صـاحب الرحلة أنه قرأ عليه الجمل للخونجي[4]، كما نجد الشـيخ محمد بن عقاب الذي قرأ عليه القلصـــادي بعض المنطقي وبعض الطوالع من بعض الجمل للخونجي، وحضر له لبعض المستصفي للغزالي[5]، أما صاحب الرحلة أبو الحسن علي القلصادي فقد ترك كتابين في علم المنطق أحدهما عبارة عن شـــرح لكتاب (ايســـاغوجي)، والآخر بعنوان (تلبية الانسان إلى علم الميزان)[6].

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص476.

[2]– ابن مريم، المصدر السابق، ص210.

[3]– القلصادي، المصدر السابق، ص ص101–102.

[4]– نفسه، ص117.

[5]– نفسه، ص122.

[6]– التنبكتي، المصدر السابق، ص209.

الخاتمــة

وصفوة القول أن هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها أمكننا التعرف على الحياة العلمية في المغرب الإسـلامي، من خلال كتاب رحلة القلصـادي اسـتنتجنا أن الحياة العلمية سـاعدت في تطوير عجلة التقدم الحضـاري، حيث يرجع الفضـل في بداية الأمر إلى عناية السـلاطين بهذا الجانب، رغم الاضـطرابات السـياسـية والتناحر الإقليمي، والخطر الخارجي الذي عاشـه المغرب الإسـلامي خلال الفترة المدروسـة، فاعتنوا بالتعليم وأعطوه حقه وذلك في مختلف العلوم (الدينية–اللسـانية– الاجتماعية– والعقلية)، وتفننوا في تشـجيعه بكل الطرق والوسـائل ماديا ومعنويا، بالإضافة إلى المؤسسات التعليمية التي كانت عاملا مهما، ساهمت مساهمة فعالة في تعليم المجتمع وتربيته فقد تخرج من أحضـانها كبار العلماء، وقد لعبت الرحلة العلمية دورا كبيرا في الحقل العلمي فاعتبرت سببا في مد جسور العلم والثقافة وتبادل المعارف والكتب والإجازات، ولا ننسـى الجالية الأندلسـية التي اسـتقرت بالمغرب الإسـلامي فكان تأثيرها واضـحا في مختلف الميادين خاصـة الجانب الثقافي فلم يهتموا بالحدود السـياسـية وكان دافعهم الأول والأخير طلب العلم والمعرفة.

ولعله من المفيد إلى الإشارة في حصاد هذا البحث على أن:

– كتاب رحلة القلصـادي يعد من كتب الرحلات وهي من أهم المصـادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لأن الكاتب يستسقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية والتصوير المباشر.

– رحلة القلصـادي هي عبارة عن رحلة وفهرسـت حيث وصـف فيها الأماكن التي مر بها إضافة إلى ترجمته لثلاثة وثلاثون شخصية مع ذكر مؤلفاتهم والعلوم المتداولة في تلك الفترة.

– نجح القلصـادي وبشـكل كبير ومفيد في رسـم صـورة حقيقية للحركة العلمية في المغرب الإسلامي خلال القرن التاسع للهجري ويعتبر من آخر مؤلفات العصر الوسيط في هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريــم: المصحف الشريف برواية ورش عن نافـع.

1-المصـــادر:

❖ ابن أبي الزرع (علي ابن عبد الله الفاسي ت774هـ/1340م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1973.

❖ ابن الحاج النميري (إبراهيم بن عبد الله بن محمد توفي بعد 774هـ/1332م)، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، تحقيق: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

❖ ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي ت852هـ/1448م)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج11، دار طيبة، الرياض، ط1، 2005.

❖ ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير ت833هـ/1430م)، **منجـد المقرئين ومرشـد الطالبين**، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م.

❖ ابن الخطيب (محمد بن عبد الله الغرناطي الشهير بلسان الدين ابن الخطيب ت776هـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مراجعة وتقديم، بوزيان الدراجي، دار الأمل لدراسات، الجزائر، 2009م، ج1.

❖ ابن خلدون (ابو زكرياء يحي ابن محمد ت780هـ/1378م):

✓**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر،1980.

✓**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج 2، تحقيق: بوزياني الدراجي، دار الأهل للدارسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

❖ ابن خلدون (ابو زيد عبد الرحمن ت808هـ/1405م):

✓**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6، ج7، دار الكتاب اللبناني، (دت).

✓**المقدمة**، تحقيق: هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1 ،2007.

❖ ابن سحنون (محمد عبد السلام ت256هـ/870م)، **آداب المعلمين**، تحقيق: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

❖ ابن عذارى (أبو العباس أحمد المراكشي كان حيا سنة 712هـ/1312م)، **المغرب في أخبار الاندلس والمغرب**: قسم الموحدين، تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الاسلامي والدار البيضاء، لبنان والمغرب، ط1 ،1985.

❖ ابن قنفذ (أبو العباس أحمد القسنطيني ت810هـ/1407م):

✓ **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

✓ **شرف الطالب في أسنى المطالب**، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2003.

❖ ابن مرزوق التلمساني (أبو عبد الله محمد الخطيب ت781هـ/1379م)، **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

❖ ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن أحمد كان حيا سنة1014هـ/1605م)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، باعتناء: محمد ابن ابي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

❖ الإدريسي (أبو عبد الله الشريف ت548هـ/1154م)، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق وترجمة: محمد الحاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983.

❖ الأندلسي (محمد بن محمد الوزير السراج ت1149هـ/1736م)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ج2، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985.

❖ البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ت256هـ/870م)، **صحيح البخاري**، ج4، تحقيق: محمد الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتباتها، القاهرة، ط1، 1400هـ.

❖ الترمذي (محمد بن عيسى ت279هـ/892م)، **الجامع الكبير**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996.

❖ التنبكتي (أحمد بابا ت1036هـ/1628م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، اشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989.

❖ التنسي (محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ ت899هـ/1493م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمد بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

❖ الحموي (ياقوت شهاب الدين ت626هـ/1128م)، **معجم البلدان**، ج1، ج2، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت).

❖ الحميري (محمد بن عبد المنعم السبتي توفي أواخر ق 9هـ/15م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م.

❖ الرندي (ابن عباد ت792هـ/1390م)، **الرسائل الصغرى**، تحقيق: الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974.

❖ الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم كان حيا سنة894هـ/1488م)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.

❖ السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت902هـ/1497م):

✓ **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجمة: صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986.

✓ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج6، ج7، دار الجبل، بيروت، ط1، 1992.

❖ الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد ت704هـ/1304م)، **الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية، الجزائر،1981.

❖ القاضي عياض أبو الفضل اليحسبي السبتي ت544هـ/1149م)، **الشفـــا بتعريف حقوق المصطفى**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994.

❖ القلصادي (أبو الحسن علي الأندلسي ت891هـ/1486م)، **رحلة القلصادي المسماة: تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب**، دراسة وتحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

❖ المراكشي (محي الدين عبد الواحد توفي في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006.

❖ المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت1041هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج2، ج3، ج5، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.

❖ مؤلف مجهول، **السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان (760-764هـ/ 1359-1363م)**، تحقيق: محمد بن أحمد باغلي، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012.

❖ الوازن (حسن ابن محمد الفاسي ت957هـ/1552)، **وصف إفريقيا**، ج2، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983.

❖ الونشريسي (أبو العباس احمد بن يحي ت914هـ/1511م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتأوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، مج8، ج11، تحقيق: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

2-المراجـــــع:

❖ آل المغيلي حاج أحمد، **التاريخ الثقافي لإقليم توات**، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2011.

❖ أسكان الحسن، **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط(1-9هـ)**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2004.

❖ برنشفيك روبار، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى القرن 15**، ج2، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988.

❖ البغدادي (إسماعيل باشا ت1339هـ/1920م)، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة 1955.

❖ بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد السلطان يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية (633-681هـ/1235-1282)**، مطبعة الريان، تلمسان، ط1، 2005.

❖ بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005.

❖ جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1980**، ج2، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983.

❖ الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العام**، ج2، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965.

❖ حاجيات عبد الحميد، **أبو حمو موسى الزياني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

❖ الدفاع علي عبد الله، **المدخل إلى تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981.

❖ الزركلي خير الدين، **الأعلام**، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002.

❖ شاوش الحاج محمد بن رمضان، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011.

❖ فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2002.

❖ قسوم عبد الرازق، **عبد الرحمن الثعالبي والتصوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

❖ الكتاني محمد عبد الحي، **فهرس الفهارس والأثبات**، ج2، باعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982.

❖ كحالة عمر رضا، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، ج7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1957.

❖ الكعاك عثمان، **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، تقديم ومراجعة، أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2003.

❖ الميلي محمد مبارك وشريط عبد الله، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

3-الرسائل الجامعية:

❖ بالأعرج عبد الحميد، **علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين(7-9هـ/13-15م)**، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1433-1434هـ/2012-2013م.

❖ بلحسن إبراهيم، **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن (7-9هـ/13-15م)**، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005م.

❖ بوعامر مريم، **الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن(7-9هـ/13-15م)**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،1430-1431هـ/2009-2010م.

❖ رزيوي زينب، **العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7و9هـ/ 13و15م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة سيدي بالعباس، 1436-1437هـ/2015-2016م.

❖ عبدلي الأخضر، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/ 1236-1554م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1425-1426هـ/2004-2005م.

❖ مهرية مروة وولابي عقيلة، **الصراع السياسي بين الحفصيين والمرنيين(732هـ/759هـ) (1331م/1358م)**، مذكرة مكملة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 1437-1438هـ/2016-2017م.

4-المجلات والدوريات:

❖ البوعبدلي المهدي، **الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى**، مجلة الأصالة، العدد13، الجزائر، 1973.

❖ الحاج عبد الله بن الصباح الأندلسي المدجن، **نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار (رحلة حجازية)**، تحقيق جمعة شيخة، مجلة دراسات أندلسية، عدد 45-46، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2012.

❖ حاجيات عبد الحميد، **تلمسان مركز الاشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**، مجلة في الحضارة الإسلامية، عدد خاص بالمراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، وهران.

❖ عيساوي مها، **أبو حمو موسى الزياني (السلطان والأديب)**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة، الجزائر، العدد 12.

فهـــرس
الموضوعـــات

الموضـــوع الصفحـــة

شكر وعرفان

إهـــــــداء

قائمة المختصرات

مقدمـــــــة..... أ – و

الفصل الأول: أبي الحسن علي القلصادي والواقع السياسي للمغرب الإسلامي في عصره..... **01-28**

المبحث الأول: شخصية القلصادي

المطلب الأول: اسمه ونسبه..... 03

المطلب الثاني: مولده ونشأته..... 03

المطلب الثالث: تعليمه ومكانته العلمية..... 04

المطلب الرابع: وفاته ومؤلفاته..... 09

المبحث الثاني: التعريف بكتاب رحلة القلصادي وقيمته

المطلب الأول: أسلوبه ومنهجه في التأليف..... 14

المطلب الثاني: مضمون الكتاب..... 15

المطلب الثالث: أهمية الكتاب..... 17

المبحث الثالث: الواقع السياسي للمغرب الإسلامي ما بين القرنين 8هـ-9هـ

1-الدولة الزيانية..... 21

أ-الصراعات الحفصية الزيانية..... 23

ب-الصراعات المرينية الزيانية..... 24

ت-التنافس على العرش..... 25

ث-التدخل الأوروبي..... 26

2-الدولة الحفصية..... 27

الفصل الثاني: عوامل ازدهار الحياة العلمية في المغرب الإسلامي من خلال كتاب رحلة القلصادي..... 29-61

المبحث الأول: مراحل التعليم ومؤسساته

المطلب الأول: مراحل التعليم..... 33

1-المرحلة الابتدائية..... 33

2-مرحلة التعليم العالي..... 34

المطلب الثاني: المؤسسات التعليمية..... 36

1-المساجد..... 37

2-المدارس..... 40

3-الكتاتيب..... 43

4-الزوايا..... 45

المبحث الثاني: طرق التعليم

المطلب الأول: السماع أو الإملاء..... 49

المطلب الثاني: القراءة..... 49

المطلب الثالث: المناظرة والحوار..... 50

المبحث الثالث: روافد النشاط العلمي

المطلب الأول: الرحلة العلمية..... 53

المطلب الثاني: المجالس العلمية..... 57

المطلب الثالث: الاجازات العلمية..... 59

الفصل الثالث: أصناف العلوم ومشاهير العلماء في المغرب الاسلامي من خلال كتاب رحلة القلصادي.....62-87

المبحث الأول: العلوم الدينية

المطلب الأول: علم القرآن..... 65

أ-علم القراءات..... 65

ب-علم التفسير..... 66

المطلب الثاني: علم الحديث..... 69

المطلب الثالث: علم الفقه..... 71

المطلب الرابع: علم التصوف..... 72

المبحث الثاني: العلوم اللسانية والاجتماعية

المطلب الأول: علم الأدب..... 76

أ-النثـــر..... 76

ب-الشعـر..... 77

المطلب الثاني: علم اللغة والنحو..... 78

المطلب الثالث: علم التاريخ..... 79

المبحث الثالث: العلوم العقلية

المطلب الأول: علم الطب..... 82

المطلب الثاني: علم الرياضيات..... 83

المطلب الثالث: علم المنطق..... 86

الخاتمـــــة..... 88

قائمة المصادر والمراجع..... 90

فهرس الموضوعات..... 99